سير أعلام شهداء الثورة السورية

الشيخ أبو معاذ المصري (همام عبد الفتاح توفيق طه) رحمه الله

جمع و ترتيب : أبي الوليد الحنفي

ربيع الأول 1441 هـ

إهداء

إلـى الأخ الحبيـب أبـي إبراهيـم طبيـة مديـر مشـفى القـدس في حلـب الـذي قـاد معركـة عزيـزة بعـد استشـهاد الشـيخ أبـي معـاذ المصـري والـذي صبـر على الحصـار وواصـل العمـل ليـلا ونهـارا لإنقـاذ الجرحـى والمصابيـن ثـم هجـر مـن حلـب ليتابـع مسـيرته الطبيـة الجهاديـة فثبتـه الله على الحـق وجـزاه خيـرا

المقدمة

الحمد الله الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء والظاهر فليس فوقه شيء والباطن فليس دونه شيء، والصلاة والسلام على عبده المجتبى ورسوله المصطفى محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الأطهار وصحبه الكرام الأبرار وعلى من تمسك بدينه وناضل عن شريعته وذب عن سنته وأرخص الدماء لرفع رايته ما تعاقب الليل والنهار، وبعد:

فهذه سيرة الشيخ المجاهد والداعية الناصح والكمي الباسل، خدين القرآن وصديق ساحات الوغى، فارس المنابر، صاحب الصوت الشجي والقلب الرقيق والأدب الجم والخلق الرفيع والهمة العالية والعزيمة الصادقة واللهجة الصادقة، الشيخ أبي معاذ المصري همام توفيق عبد الفتاح، طيب الله ثراه وجعل الفردوس مأواه، وقد اعتمدت في جمع سيرته على شهادة أهله وأقربائه وإخوانه وأحبابه، وهم الإخوة التالية أسماؤهم:

- الشيخ أبو السعد المصري صديق والد الشيخ أبي معاذ.
- الشيخ محمد عبد السلام.
- الشيخ أبو شعيب المصري.
- الشيخ أبو اليقظان المصري.
- الشيخ القاضي أبو القاسم المصري.
- الشيخ أبو عبد الرحمن الحلبي.
- الأخ أبو الفداء الحلبي.
- الأخ أبو أحمد البها.
- الأخ أبو العباس الحلبي.
- الأخ عبد القادر محمد (أبو دجانة الحلبي).
- الأخ نضال الزرقا (أبو حفص قباء).
- زوجته السورية الأخت أم عابد، وقد وصلتني شهادتها عن طرق الأخ أبي الفدا الذي وصلته شهادتها عن طريق زوجته.
- الأخ أبو مسلم العندانى.
- الأخ أبو يحيى دارة عزة.
- الأخ أبو عمارة، إداري المكتب الدعوي في حلب.

- موقع طريق الإسلام.
- أحد أعداد جريدة الصباح المصرية التي نشرت لقاء مع الشيخ أبي معاذ بعد عودته إلى مصر.
- ترجمة الشيخ عبد الفتاح توفيق طه، والد الشيخ أبي معاذ، وقد نشرها موقع سلف أون لاين، وهي ترجمة مرئية تحدث فيها عن الشيخ عبد الفتاح أربعة أشخاص؛ وهم: الشيخ حاتم ديب، والشيخ صلاح عبد المعبود، والشيخ أسامة عبد المنصف، والشيخ أبو معاذ المصري نجل الشيخ عبد الفتاح.
- إضافة إلى معرفتي الشخصية به.

الشيخ أبو معاذ المصري

مولده ونشأته:

هو الشيخ أبو معاذ همام عبد الفتاح توفيق طه، ولد عام 1982 في أسرة متدينة محبة للدين والجهاد، وقد رباه والده تربية إسلامية فريدة، وكان لوالده أعظم الأثر عليه، ولذلك لا بد من نبذة يسيرة عن والده فقد كان له الفضل العظيم بعد الله على ولده.

نبذة عن الشيخ عبد الفتاح توفيق طه، والد الشيخ أبي معاذ المصري:

ولد الشيخ عبد الفتاح في قرية ميت خلف، التابعة لمركز شبين كوم، بمحافظة المنوفية، في جمهورية مصر، وكان مولده عام 1954 في أسرة طيبة وبيت متواضع، وعندما كبر قليلا التحق بكتَّاب القرية، وحفظ عند الشيخ حامد نصف القرآن، ثم درس الابتدائية فالإعدادية فالثانوية، ثم التحق بالكلية الفنية العسكرية وتخرج فيها عام 1978، وفي نفس يوم تخرجه عقد على زوجته وهي من القاهرة، ثم بنى بها بعد بضعة أسابيع، وقد رزق منها بتسعة أولاد.

عاش الشيخ عبد الفتاح قسما من حياته في الجيش، وكان يعمل فيه مهندسا للأسلحة والذخيرة، واستمر في الجيش من عام 1973 إلى عام 1982، ثم سافر إلى السعودية وعمل في المدينة المنورة لستة أشهر، ثم عاد إلى مصر وعمل أعمالا حرة إلى 1987، ومن الجدير في الذكر أن الشيخ عندما كان يعمل في الجيش رسب نفسه عمدا في امتحان كان سيترتب عليه ترقية، وعندما سئل عن سبب ذلك أجاب حتى آخذ إجازة من الجيش لستة أشهر أتمكن من خلالها أن أطلق لحيتي (فإعفاء اللحية ممنوع في الجيش كما هو معروف)، وخلال هذه الأشهر أقام الشيخ في حلوان ودرس الفقه وأصوله على الشيخ عطاء، كما كان يتردد على الشيخ نجيب المطيعي في العباسية؛ ليسمع منه شرحه للمجموع للإمام النووي رحمه الله.

كان الشيخ عبد الفتاح حريصا على ملازمة العلماء والاستفادة منهم، وقد حرص في تلك الفترة على الذهاب إلى مسجد أنس بن مالك في المهندسين ليحضر خطبة الشيخ عزت إبراهيم وهو من المتمسكين بالسنة الغيورين عليها المحبين لأهلها، وعندما كان في السعودية كان حريصا على حضور دروس الشيخ ابن عثيمين في الحرم. وقد تمت إحالة الشيخ عبد الفتاح إلى المعاش مبكرا نظرا لنشاطه الديني.

وفي عـام 1987 بـدأ الشـيخ عملـه في الدعـوة إلـى الله مـع الإخـوة القائميـن على ذلك في شـبين الكـوم، وكان قبـل ذلـك يخطـب الجمعـة ويلقـي بعـض الـدروس في المسـاجد، وقد أكرمـه الله بإتمـام حفـظ القـرآن عـام 1982 حيـث كان يحفـظ مـع الشـيخ محمـد مصطفـى ويسـتمع كل واحـد منهمـا للآخـر ويصحـح لـه، وقـد حصـل الشـيخ عبـد الفتـاح بعـد ذلـك على الإجـازة مـن أحـد تلاميـذه وهـو الشـيخ أحمـد عبـد العليـم السيسـي.

كان الشـيخ عبـد الفتـاح قانعـا مـن الدنيـا باليسـير، ومـن عـام 1987إلى عـام 1995 لـم يخرج مـن شـبين الكـوم إلا للحـج والعمـرة فقـط، وقـد حـج مـع زوجتـه عـام 1990، وكان يعيـش مـن المرتـب الـذي يأتيـه مـن الجيـش مـع أنـه كان بمقـدور الشـيخ أن يذهـب للعمـل في الخليـج بأجـر مرتفـع جـدا، ولكنـه آثـر مـا عنـد الله.

ومـع غـلاء الأسـعار وارتفـاع مسـتوى المعيشـة اضطـر الشـيخ للبحـث عـن عمـل، فيسـر الله لـه العمـل في تجـارة الكتـب مـع الشـيخ أحمـد يونـس، ثـم تـرك ذلـك وعمـل في المكتبـة الإسـلامية مـع محمـد النحـاس وقـام بتحقيـق بعـض الرسـائل، ثـم تـرك العمـل وآثـر التفـرغ للدعـوة مكتفيـا بمـا يصلـه مـن مرتـب مـن الجيـش، وفي عـام 1995 سـافر إلـى قطـر ليعمـل إمامـا وخطيبـا بعـد نجاحـه في المسـابقة بتفـوق، فقـد كان مـن الخمسـة الأوائـل، وقـد مكـث في قطـر سـتة أشـهر ثـم عـاد إلـى مصـر ثانيـة.

كان الشـيخ كثيـر الاهتمـام بالقـرآن عظيـم الحـب لـه، وقـد أكرمـه الله فحفـظ أولاده التسـعة القـرآن في حياتـه، وكان آخـر مـن ختـم حفظـه منهـم ابنتـه حفصـة فقـد أكرمهـا الله بذلـك قبـل وفـاة أبيهـا بأسـبوعين، وقـد فـرح الشـيخ بذلـك فرحـا عظيمـا، وكان أكثـر مـا يسـر الشـيخ حفـظ أولاه القـرآن ومراجعتهـم لـه، وأكثـر مـا يغضبـه تقصيرهـم في ذلك. وقـد أمضـى الشـيخ مـن عمـره مـا يزيـد على عشـرين عامـا محفظـا للقـرآن، وكان لـه أحيانا أربعـة مجالـس لتحفيـظ القـرآن في اليـوم الواحـد، بعـد الفجـر وبعـد الظهـر وبعـد العصـر وبعـد العشـاء، كمـا كان الشـيخ شـديد التعبـد لله محافظـا على النوافـل مـن الصيـام وقيـام الليـل وغيرهـا، مواظبـا على صـلاة الجماعـة في المسـجد، وقـد صلـى في المسـجد في نفـس اليـوم الـذي أُدخـل فيـه إلـى المستشـفى، وكان يدعـو الله ألا يحرمـه مـن صـلاة الجماعـة.

وأمـا برنامجـه اليومـي فقـد كان الشـيخ يسـتيقظ قبـل الفجـر بسـاعة أو بسـاعة ونصـف

فيصلي ما كتب له، ثم يوقظ أولاده قبل الفجر بربع ساعة ويسألهم فردا فردا هل صليتم الوتر؟ فمن لم يكن صلاه قام فصلاه ومن كان مصليا الوتر ركع ركعتين، ثم يخرج الشيخ إلى الصلاة مع الأذان أو قبله بقليل، فيصلي في المسجد، ثم يمكث فيه إلى شروق الشمس وأحيانا إلى بعد شروق الشمس بساعة، يحفِّظ كتاب الله تعالى، ثم يرجع إلى منزله فينام قليلا، ثم يذهب ليفطر مع أمه ما لم يكن صائما، ولم يكن يدع صيام الاثنين والخميس ولو كان على سفر، وكان حريصا على الإفطار مع أمه، ويمكث عندها إلى قبيل الظهر، ثم يرجع إلى البيت فيصلي الظهر في المسجد الذي بجوار بيته ثم إن كان عنده عمل أنجزه وإلا أكب على قراءة القرآن ومطالعة كتب أهل العلم إلى قبيل العصر، ثم يصلي العصر في المسجد ويمكث فيه محفظا للقرآن إلى المغرب، وبعد أن يصلي المغرب يتناول عشاءه مع أسرته ويجلس معهم حتى العشاء، وبعد أن يصلي العشاء يقوم ببعض الأعمال الدعوية أو يزور بعض إخوانه وأصدقائه، وقد كان للشيخ قرابة العشرين أخا من الرضاعة وكان حريصا على برهم وزيارتهم.

وللشيخ جهود عظيمة في العلاقات الاجتماعية مع الناس فقد كان يشاركهم أفراحهم وأترحهم ويتدخل من أجل الإصلاح في المشاكل الزوجية.
وقد سافر مدة إلى أفغانستان وشارك في الجهاد.

كان الشيخ يختم القرآن كل ستة أو سبعة أيام، ويرى القرآن أفضل وسيلة للتربية، ولم يدع قيام الليل إلا في مرضه لعدم قدرته على ذلك، وقبل وفاته بشهرين صلى قيام الليل وسمعته زوجته يدعو في سجوده: اللهم إني أسألك الرضا بقضائك والشوق إلى لقائك، فبكت، وقالت: لماذا تدعو على نفسك؟ فقال: لا أدعو على نفسي ولكني دعوت بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فقد اشتقت للقاء الله.
وفي عام 1428هـ مرض الشيخ بمرض الكبد، وأخبره الأطباء أنه قد يحتاج إلى تبرع بفص للكبد للزراعة ولكن نسبة نجاح العملية لا تتجاوز الخمسة بالمائة فلم يقم بها، ثم أصيب بمرض في مرارته وهذا المرض يحتاج لمضاد حيوي شديد، والمضاد الحيوي يؤذي الكبد، فصبر الشيخ حتى اشتد عليه الألم جدا، فتناول دواء المرارة، ولم يخبر الشيخ زوجته بحقيقة مرضه إلا قبل وفاته بثلاثة أو أربعة أشهر؛ حيث ساءت حالته الصحية جدا، وأصبح لا يقدر على كثير من الطاعات والقربات التي كان يفعلها قبل ذلك، ثم سافر إلى الإمارات فقد كانت ابنته على وشك أن تلد، وهناك

اشتد الألم عليه وطلب منه الأطباء هناك أن يعود إلى مصر، وبعد عودته إلى مصر بيوم واحد أُدخل المستشفى لسوء حالته الصحية، وذلك في 25 شعبان من عام 1429، فظهر عليه بعض التحسن، وفي يوم الجمعة أصيب بنزيف داخلي وظل يتقيأ دما لثلاث ساعات فأجريت له عملية ربط الدوالي، وبعد يومين أجريت له عملية جراحية أخرى، وفي أول يوم من رمضان طلب من ولده همام أن يحضر له ماء ليتوضأ ويصلي التراويح، وكان الشيخ لا يدع الوضوء وسنته أبدا، فتوضأ ثم صلى ركعتين فتعب، ثم قال لبعض أولاده: اجلسوا بقربي فإن غفوت فنبهوني ثم صلى، وعندما أتم ست ركعات تعب جدا فبكى، وقال: يا أبنائي، اذكروا يوما تودون فيه الصلاة ولا تقدرون عليها فلا تضيعوا أوقاتكم بغير الصلاة.
ومما قاله لأولاده قبل وفاته بفترة وجيزة: من أراد المعالي لا تفوته الخيرات وإن كانت في أعين الناس صغيرة.

وفي آخر يوم من حياة الشيخ استيقظ فجرا فصلى الفجر مقتديا بمرافقه في المستشفى وجلس بعدها يذكر الله بالأذكار المأثورة حتى أتمها، وقد استغرق ذلك منه ما يزيد على ساعتين، فقد كان نطقه عسرا جدا، وكان يردد وراء مرافقه، فلم يكن لشدة إعيائه يقدر على الإتيان بها وحده، وفي التاسعة جاء الطبيب وأخبر الإخوة أن النزيف لا يزال مستمرا، ثم أذن الظهر فصلى الشيخ الظهر قصرا، ثم أخذ يذكر الله فتأخذه إغفاءة ثم يصحو فيذكر الله، وكان يكثر قبل وفاته بأسبوع من قول: لا إله إلا الله، ويسأل الله حسن الخاتمة، وقبيل العصر سأل الشيخ: هل أذن العصر؟ فقالوا: لا، فطلب منهم أن يتركوه لوحده، ثم توضأ لصلاة العصر وهو على سرير تتصل به كثير من الأجهزة الطبية الكهربائية ولا يمكن توجيه السرير إلى القبلة، فحاول الشيخ جاهدا أن يعتدل ليصلي خلف مرافقه صلاة العصر، وانتهى المرافق من الصلاة والشيخ لم يكبر بعد تكبيرة الإحرام لأنه لم يرض عن توجهه لغير القبلة، ثم اعتدل شيئا يسيرا ودخل في الصلاة، وفي الركعة الثانية أغمي عليه ودخل في الغيبوبة، وكان الشيخ حاتم الديب عنده قبل ذلك يقرأ القرآن عند رأسه، فقرأ من سورة يس إلى الذاريات، وكان الشيخ يصحو من الغيبوبة لحظات فيهمهم بكلمات غير مفهومة، فيلقن الشهادة فيقولها ثم يغمى عليه، ثم يصحو فيهمهم بكلمات فيلقن الشهادة فيقولها، حصل ذلك معه أكثر من عشرين مرة، ثم دخل في الغيبوبة التي اتصلت بموته، وكان آخر كلامه: لا إله إلا الله، رحمه الله رحمة واسعة.

طلبه العلم:

ظهرت على الشيخ أبي معاذ أمارات النجابة والفلاح منذ كان صغيرا فقد كان الأطفال يلعبون ويجلس هو يقرأ القرآن.

درس في كلية الدراسات الإسلامية بالأزهر الشريف، وحصل منها على ليسانس دراسات إسلامية وعربية عام 2005، كما حصل على إجازتين بروايتي حفص وشعبة عن عاصم، وعمل بتعليم المسلمين الجدد القرآن الكريم واللغة العربية، وحضر عند كثير من المشايخ في مصر حتى التحق بالجهاد.

زواجه:

لما كان الشيخ في مصر تزوج زوجته الأولى أم معاذ ورزق منها بغلام وهو معاذ مواليد عام 2008 وثلاث بنات وهن جويرية مواليد 2010 ونسيبة مواليد 2013 وأمامة مواليد 15 أيلول 2014، وقد وُلِدت بعد استشهاد الشيخ.

ثم تزوج زوجته الثانية أم عابد في المرة الأخيرة التي جاء فيها إلى سوريا، وكان ذلك في 18 رمضان، ومع ذلك فقد اعتكف العشر الأواخر في مسجد فاطمة في حي السكري بحلب، وقد رزق منها بغلام وُلد بعد استشهاد أبيه في 13 آب 2014 فسمته أمه «همام» على اسم أبيه، تقول زوجته أم عابد: في يوم من الأيام عاد من معركة في حلب، فقال لي: كنت في المعركة فتخيلت أن أفارق الحياة ولم أرزق بولد من أهل الشام، ففاضت عيني ودعوت ألا أقتل قبل أن أرزق به، وبعد أيام بُشِّر بأن زوجته السورية حامل.

نفيره للجهاد في سبيل الله تعالى:

قدم الشيخ أبو معاذ بلاد الشام مجاهدا عن طريق الشيخ مجد سعيد والدكتور أحمد عبد الكريم نجيب، وبدأ الجهاد أولا في حلب إلا أنه كان يطمح للجهاد في الغوطة، وفعلا سافر إلى الغوطة الشرقية وجاهد فيها وحوصر فيها، ثم خرج منها وعاد إلى مصر ليشارك في الاعتصام في ميدان التحرير، ثم عاد إلى سوريا وإلى حلب تحديدا فتسلم إمارة المكتب الدعوي لأحرار الشام بها.

وقد قامت جريدة الصباح بنشر لقاء لها مع الشيخ أبي معاذ بعد عودته إلى مصر جاء فيه: الصباح التقت الشيخ همام خريج جامعة الأزهر في أحد المساجد بالجيزة؛ ليروي عن تجربة سفره ومشاركته كمقاتل ضمن صفوف كتائب أحرار الشام؛ حيث قال للصباح: قضيت شهر وعدت إلى مصر، ثم سافرت وقضيت شهرين وعدت في 8 نوفمبر الماضي، كان دورنا هو صد الهجوم على بعض المناطق المحررة التي يطلقون عليها رباط؛ حيث إن النظام السوري يجدد بين الحين والآخر هجومه على الأراضي التي يسيطر عليها المجاهدون، لكننا كنا نقف نؤمن هذه المناطق وبخاصة أحياء السكري والإذاعة والشعار والصاخور وسيف الدولة بمدينة حلب، شاركت في العديد من المواجهات المسلحة التي استمرت لثماني ساعات متواصلة واجهت خلالها الموت ورأيت أشلاء أصدقائي تتناثر حولي وأصابت بندقيتي أجساد النظام السوري. ثم تتابع الصباح نقلها عن الشيخ أبي معاذ قوله: في أحد المواجهات تأكدت أن سلاحي (الكلاشينكوف) أصاب حالة أو حالتين وبخاصة أننا قضينا على جميع من بالكتيبة التي تقاتلنا، وفي أحد المواجهات أصبت بعض الحالات في أماكن خطيرة في الجسد، ثم قال: لا يوجد سترات مضادة للطلقات، وما يحصل عليه المجاهدون إنما هو من استيلائهم على مخازن ومستودعات السلاح التابعة لنظام الأسد.

ثم نقلت الصباح بعض ما رآه الشيخ أبو معاذ من جرائم نظام الأسد؛ حيث يقول الشيخ: كنا في أحد أحياء حلب وقام النظام بشن هجوم بالهاون والدبابات على إحدى المناطق التي كنا نؤمنها، فقام المجاهدون بزرع عبوة ناسفة ونجحنا في تدمير الدبابة، وقام آخرون بقذف إحدى المدرعات ب آر بي جي، وقد استشهد منا ثلاثة وجرح ستة.

ثم تتابع الصباح فتقول: وجلس أبو معاذ في الطابق الرابع للمسجد يتذكر بعض المشاهد الدامية التي حفرت في ذاكرته؛ حيث قال: كنا في جولة في أحد الأسواق في حلب وكان يلعب في الشارع خمسة عشر طفلا، فطلبنا من أسرهم أن يدخلوهم المنزل خوفا عليهم من القصف، فقالت إحدى الأمهات: لو أدخلناهم المنازل وقصفوها فلن نستطيع إخراجهم من تحت الأنقاض، عقبها أسقط النظام قذائف الهاون وقتل اثني عشر طفلا أعمارهم ما بين سبع سنين إلى خمس عشرة سنة، حادثة أخرى يتذكرها أبو معاذ، وهي أن أحد الأمهات خرجت في حلب عند المغرب لتشتري الحليب المجفف لرضيعها، فطلبنا منها الرجوع للمنزل لكثرة انتشار القناصة

فوق أسطح المباني، ولكنها أصرت على شرائه، وقالت: الولد يبكي، وخلال لحظات كانت رصاصة قناص قد أصابت رأسها فقتلت.

وتتابع الصباح فتنقل عن الشيخ أبي معاذ بعض أعماله الأخرى في أرض الجهاد كالدعوة والقضاء، فنقلت عن أبي معاذ قوله: حكمت بالإعدام على شبيح اغتصب اثني عشر فتاة، ثم قتل ثمانية منهم، ثم تقول الصباح: عمل المجاهد المصري لم يقتصر على الجهاد فقط، فهو يؤكد أن الجهاد المسلح كان يمثل خمسة عشر بالمائة مما كانوا يقومون به، مشيرا إلى أنه كان يقوم بمنح دورات شرعية على ثلاث مستويات؛ الأول: دورة لمدة أسبوعين تتم في معسكر التدريب للمقاتلين قبل توزيعهم على المعارك، الثانية: دروس شرعية بشكل يومي أو يوم بعد يوم في مقرات القتال، والثالثة: دورات تستهدف الوسط الشعبي؛ حيث نعطي دروس في المساجد والتجمعات الشبابية والأسواق للمدنيين، لافتا أنه أعطى ثلاثين درسا شرعيا في حلب، كما عمل أبو معاذ قاض في المحكمة الشرعية في حلب ثمانية ساعات يوميا.

تسلمه إمارة المكتب الدعوي في مدينة حلب:

تسلم الشيخ أبو معاذ مسؤولية المكتب الدعوي لحركة أحرار الشام الإسلامية في حلب، وكان قبل ذلك يرفض، ويقول: ما جئت إلا للرباط والمعارك، فلما تعين الأمر عليه تسلمه، فنهض بالأمانة الملقاة على عاتقه نهوض القوي الأمين، وسعى بجد للارتقاء بعمل المكتب الدعوي على جميع النواحي، فقد كان يرفض أن يكون الداعية بعيدا عن اقتحام أهوال المعارك أو خوض الحروب، ولما تسلم إدارة المكتب عقد اجتماعا للإخوة العاملين وبدأ يشرح لهم خطة العمل في المرحلة المقبلة، وبين أن العمل في المكتب ليس وظيفة لها وقت محدد يؤديها المرء ثم يمضي بعد انتهاء دوامه بل الأمر جهاد يحتاج استفراغ الوسع وبذل الجهد، وبالتالي فلا يوجد ساعة دوام وساعة انصراف، بل على العامل في المكتب الدعوي أن يكون على أهبة الاستعداد دائما بحيث يكون جاهزا في أي ساعة من ليل أو نهار، ثم اعتذر عن قلة ذات اليد وضعف الموارد -فلم يكن هناك مرتب ثابت تدفعه حركة أحرار الشام لعناصرها وقت تسلم الشيخ إدارة المكتب، وغالبا ما كانت تدفع خمسين دولارا للأخ في الشهر وقد لا تدفع شيئا لفقرها- وحث الإخوة على الصبر ورغبهم فيما عند الله

مـن جزيـل الثـواب وعظـم الأجـر.

كان الشـيخ أبـو معـاذ حريصـا على زيـادة عـدد الدعـاة؛ لمـا يعلـم مـن أهميتهـا وخطورتهـا خصوصـا في الجهـاد، وبمـا أن معظـم طلبـة العلـم الموجوديـن إمـا مشـغولون بمهـام قضائيـة وعلميـة وإمـا يرفضـون العمـل في المكتـب الدعـوي لكثـرة المهـام وشـح المـوارد، فقـد عمـل الشـيخ أبـو معـاذ على إعـداد دعـاة ليرفـد فيهـم المكتـب، فاختـار بضعـة أشـخاص عندهـم قبـول واسـتعداد لتلقـي العلـم ودفعهـم إلـى الشـيخ أبـي اليقظـان المصـري ليعدهـم لذلـك، فأخذهـم وانطلـق بهـم إلـى قلعـة سـمعان ورتـب لهـم برنامجـا علميـا ودعويـا، ولكـن استشـهاد الشـيخ أبـي معـاذ رحمـه الله حـال دون إتمـام المشـروع. كمـا كان الشـيخ حريصـا على رفـع مسـتوى الدعـاة العلمـي، ولذلـك رتـب لهـم دروسـا مـع بعـض طلبـة العلـم العامليـن في المكتـب، وربما حضـر هذه الـدروس تشـجيعا للإخوة، وفي إحـدى المـرات تقـرر أن يأخـذ الدعـاة تلخيصـا لكتـاب المنـار المنيـف في الصحيـح والضعيـف للإمـام ابـن القيـم، وكان ميعـاد بـدء الـدرس بعـد العشـاء، فجـاء الشـيخ في وقـت متأخـر مـن الليـل وحضـر مـع الطـلاب مـا تبقـى مـن الـدرس مـع كثـرة مهامـه ومشـاغله.

ولـدى الشـيخ عـدد مـن الإجـازات في بعـض المتـون وكتـب السـنة، وقـد طلـب منـه الدعاة أن يقـرؤوا عليـه صحيـح مسـلم فاسـتجاب بعـد لأي، وعقـد المجلـس الأول في المكتـب الدعـوي في السـكري، وقـرأ فيـه مقدمـة صحيـح مسـلم كاملـة، ثـم اشـتعلت نـار المعـارك مـع الخـوارج حتـى طـردوا مـن حلـب ثـم نـار المعـارك مـع النظـام حتـى استشـهد الشـيخ رحمـه الله.

كان الشـيخ أبـو معـاذ رحمـه الله كثيـر الحـث على الجهـاد والتحريـض عليه والترغيـب فيه، وقـد جعلـه الله سـببا للالتحـاق عـدد مـن المجاهديـن بركـب الثـورة والجهـاد ثـم الانضمـام إلـى قافلـة الدعـوة إلـى الله بعـد تزودهـم بالعلـم الشـرعي، ومنهـم الأخ الداعيـة أبـو الفـداء الحلبـي، فقـد كان الشـيخ أبـو معـاذ سـببا في نفيـره وسـلوكه درب الجهـاد ثـم الدعـوة، فعنـد دخـول الجيـش الحـر إلـى مدينـة حلـب عـام 2012 كان عليـه ديـون كثيـرة، ولديـه عمـل ينفـق منـه على نفسـه وأهلـه ويسـدد منـه الديـون، فرغـب في الانضمـام إلـى الجهـاد ولكنـه خشـي ألا يـأذن لـه الدائنـون، فسـأل الشـيخ أبـا معـاذ مراسـلة عـن ذلـك، فأفتـاه بوجـوب النفيـر وأخبـره أن إذن الدائـن لا يشـترط في جهـاد الدفـع، فشـكلت هـذه الفتـوى منعطفـا هامـا في حياتـه، ثـم حـاول الالتحاق بحركـة أحرار الشـام الإسـلامية

فلم يتيسر له ذلك وقتها بسبب الشروط التي كانت تشترطها الحركة في الشخص الذي يريد الانضمام إليها، يقول أبو الفداء: وكنت قد بلغت الخامسة والأربعين من العمر، فمكثت أطلب العلم عدة شهور في أحد المساجد إلى أن يسر الله لي مقابلة الشيخ أبي معاذ همام عبد الفتاح في مسجد فاطمة عقيل في حي السكري في مدينة حلب، وكان وقتها مسؤول المكتب الدعوي لحركة أحرار الشام، فشرحت له وضعي ورغبتي الشديدة في الانضمام للمكتب الدعوي في الحركة، فأجابني: لا بد من الخضوع لمعسكر شرعي أولا، فقلت: هذا ما أبحث عنه، فأخذ بيدي بعد صلاة الظهر أو العصر وأسلمني إلى نائبه، وطلب منه إلحاقي بالمعسكر الشرعي الذي سيبدأ قريبا، وقد منَّ الله علي بعدها فحضرت للشيخ بعض خطب الجمعة في مسجد فاطمة عقيل في السكري، وسلكت درب العلم والجهاد فقرأت عشرات الكتب واستمعت مئات الدروس وخطبت الجمعة لأربع سنين متواصلة، وأعطيت مئات الدروس الشرعية في المساجد ونقاط الرباط ورابطت فيها والمعسكرات والمقرات والمشافي والسجون والشوارع، وخضت عددا من المعارك وكل ذلك بفضل الله أولا ثم بفضل الشيخ أبي معاذ المصري، فجزاه الله عني خير الجزاء، وأسأل الله أن يثبتنا على درب الجهاد حتى نلقاه، وأن يجمعنا بالشيخ أبي معاذ مع النبي صلى الله عليه وسلم في أعلى جنان الخلد.

ومنهم الأخ الداعية أبو العباس الحلبي، وقد كتب إلي: الشيخ المجاهد همام عبد الفتاح، جمع الله عز وجل فيه من التقوى والورع وحب الجهاد ونصرة الدين ما لم يجمعه في كثير من المسلمين، فهو طالب علم فذ ومجاهد حامل هم الدين وهم المسلمين.

قبل انتسابي لحركة أحرار الشام في حلب كنت أسمع عنه كثيرا من الإخوة الدعويين في الحي الذي أسكنه، كانوا يحدثونني عن علمه وهمته وخلقه حتى تشوفت للقائه وملازمته والعمل معه، لقد كان أمير المكتب الشرعي في حلب فنعم الأمير. التقيت به في مدرسة الثورة في حي السكري في حلب، وكان اللقاء اجتماعا للإخوة الدعويين، فكان هذا اللقاء أحد أهم أسباب التحاقي بركب الجهاد والمجاهدين.
أول ما رأيته أحببته، فقد ذكرني بأخي رحمه الله، فهو كان يشبهه كثيرا، رأيت فيه الشخصية المحبوبة من قبل الجميع، وطالب العلم الفذ، مع أنه لم يكن كبيرا في السن، ورأيت فيه الهمة التي تناطح الجبال.

عرفت الشيخ رحمه الله مقاتلا في المعارك أكثر من أنه داعية وطالب علم، فكان لا يتخلف عن معركة ضد النظام المجرم سواء كانت صدا أو اقتحاما، ولا يرضى أن يتخلف أحد من الدعاة الذين كانوا في المكتب الشرعي، فكان يأمر الجميع بالالتحاق بالجبهات وهو أولهم، ولا يرجع إلى بيته حتى تنتهي المعركة، ومن كلماته للإخوة: لا يوجد لدينا ساعة دوام ولا ساعة انصراف، لقد تعلمت منه أن الداعية ليس فقط هو الذي يلقي الخطب والدروس ويعظ الناس، بل هو المجاهد وطالب العلم وخادم المسلمين، وتعلمت منه أن الداعية كلماته ميتة حتى يحييها بفعله وتضحياته.

كان رحمه الله محبوبا من كل الفصائل، وكان له سعي حثيث من أجل جمع الكلمة وتوحيد الفصائل، فكان يزور جميع الفصائل والكل يقدره ويحترمه ويحبه، وكان يمضي جل وقته في العمل الجهادي بهمة كالجبال، وذات مرة تأخر كثيرا في العمل ولما وصل إلى الحي الذي يسكن فيه لم يصعد إلى بيته بل نام في السيارة ساعتين ثم انطلق بعدها إلى عمله.

لما جاء خبر استشهاده كنت في أحد المساجد مع بعض الإخوة الدعاة في المكتب الشرعي، فكان الخبر كالصاعقة علينا جميعا، فهو كالأب بالنسبة لنا، وكان لنا القدوة الحسنة، فلم نتمالك أنفسنا، وبدأت الدموع تنهمر من الجميع، أسأل الله أن يجمعنا به في جنان النعيم، إخوانا على سرر متقابلين.

ومن الأساليب التي استخدمها الشيخ لدفع الشباب إلى النفير أنه قام بتجميع عدد من شباب حي السكري في رمضان عام2013 ثم اعتكف معهم في مسجد فاطمة عقيل، وكان يمضي معظم وقته معهم يتبادل معهم أطراف الحديث ويحاول معرفة مشاكلهم وإيجاد حلول لها، وفي نهاية الاعتكاف أنشأ مسابقات ووزع فيها جوائز، وكان حسن التعامل مع الشباب جدا، فملأ حبه قلوبهم، ولما انتهى الاعتكاف توجه معظم الشباب المعتكفين معه إلى مقر أحرار الشام لينتسبوا إليها، ومن ضمن المعتكفين كان الأخ أبو يحيى، وقد أخبرني فقال: لما انتهى الاعتكاف أخذ الشيطان يوسوس لي لأقعد عن الجهاد ويختلق أعذارا منها أنه يريد متابعة دراسته في الجامعة، كما أن زوجته في الجامعة، إضافة إلى أنه قد عرضت عليه وظيفة، كما أنه رزق بطفلة صغيرة تعاني من بعض الأمراض، وكان والدها يعالجها في مناطق النظام النصيري، فلما ذكر هذه الأعذار للشيخ نسفها نسفا حتى موضوع العلاج، قال

لـه: نحـن سـنتكفل بعلاجهـا إن شـاء الله، وكان للشـيخ أقـارب في بعـض بلـدان الخليـج، فقـال: سـأكلمهم وأستشـيرهم في وضعهـا، فـإذا كان الأمـر صعبـا أخذنـا الطفلـة للعـلاج في تركيـا ولـم نعجـز، وسـأكون معـك بـكل مـا أقـدر عليـه مـن مـال وجـاه حتـى تشـفى الطفلـة، ثـم قـال لأبـي يحيـى: اذهـب إلـى المدرسـة مباشـرة وقـل لهـم: أنـا مرسـل مـن طـرف الشـيخ أبـي معـاذ، وبالفعـل انتسـبت إلـى أحـرار الشـام.

ويتابـع أبـو يحيـى، فيقـول: ممـا زادنـي حبـا وتعلقـا بالشـيخ أنـه لـم يصطنـع حواجـز بينـه وبيـن عامـة النـاس، فنحـن كنـا حديثـي عهـد بمناطـق النظـام، وكان كثيـر مـن المجاهديـن يغلـب عليهـم طابـع الشـدة، إضافـة إلـى تميزهـم عـن باقـي المجتمـع في اللبـاس والشـكل، فكنـت تـرى كثيـرا منهـم يلبسـون الأفغانيـة ويطيلـون شـعورهم وبعضهـم يضـع الكحـل على عينيـه، وهـذه الأمـور لـم تكـن منتشـرة في المجتمـع قبـل الثـورة، أمـا الشـيخ أبـو معـاذ فـكان لا يتميـز في مظهـره بشـيء عـن المجتمـع، فقـد كان شـعره عاديـا ولباسـه عاديـا فجعلـه هـذا الأمـر قريبـا منـا.

ولـم يكـن تحريضـه على الجهـاد ودعوتـه إلـى النفيـر خاصـا بالسـورييـن فقـط، بـل شـمل ذلـك أيضـا المصرييـن، فقـد حضـر العديـد مـن المجاهديـن المصرييـن عـن طريقـه، وكثيـر منهـم كانـوا طلبـة علـم ودعـاة متميزيـن، كالشـيخ أبـي السـعد المصـري والشـيخ أبـي اليقظـان المصـري، وغيرهـم كثيـر.

كان الشـيخ أبـو معـاذ ذا همـة عاليـة؛ فقـد أراد أن يجعـل مـن الدعـاة مقاتليـن متمرسـين، فلـم يكتـف بمـا كان يقـوم بـه المكتـب قبلـه مـن دعـوة عسـكرية تشـمل زيـارة المقـرات والجبهـات للوعـظ والإرشـاد والفتـاوى والربـاط أحيانـا والمشـاركة في المعـارك والاقتحامات لمـن أحـب ذلـك، بـل شـرع بإلـزام العامليـن في المكتـب بـدروس رياضيـة مـن أجـل رفـع مسـتوى لياقتهـم البدنيـة، وكان يشـاركهم ذلـك ويكـون أول الحاضريـن لـدرس الرياضـة، كمـا كثـف الربـاط للإخـوة الدعـاة جـدا، حتـى صـارت مـدة رباطهـم في بعـض الأحيـان تفـوق مـدة ربـاط الجنـود العادييـن، ومـا يتهـاون في ذلـك أبـدا، وكان يقـول: نحـن لا نملـك كفـاءة كفايـة للاقتحـام، ولذلـك يجـب علينـا أن نحمـل قـدر مـا نسـتطيع مـن عـبء الربـاط عـن العسـكرييـن ليحملـوا عنـا عـبء الاقتحـام.

وفي أحـد الأيـام خـرج مـع مجموعـة مـن عناصـر المكتـب الدعـوي إلـى الربـاط في منطقـة

النقاريـن، وهنـاك أخـذ يرتـب الربـاط الليلـي على الفتحـات الجداريـة، وأخبـر الإخـوة أن على الأخ أن يمضـي سـاعتين أمـام الفتحـة الجداريـة ثـم يرتـاح سـاعتين، وهكـذا إلـى شـروق الشـمس، فقـال أحـد الإخـوة: هـذا كثيـر يـا شـيخنا، فقـال: أبشـر، أمـا أنـت فترابـط أربـع سـاعات وترتـاح سـاعتين، فظـن الأخ أن الشـيخ يمـزح معـه، ثـم كان نصيبـه أن يخـرج في النوبـة الأولـى مـع شـاب آخـر، وكان بديلهمـا الشـيخ أبـا اليقظـان والشـيخ أبـا معـاذ المصرييـن، فلمـا انتهـت السـاعتان جـاء الشـيخ أبـو اليقظـان فقـط، وقـال لأحـد الشـابين اذهـب فارتـح أنـت، وأمـا الشـاب الثانـي فقـد أمـر الشـيخ أبـو معـاذ أن يبقـى، ثـم أعطـى الشـيخ أبـو اليقظـان المصحـف للشـاب الـذي بقـي، وقـال لـه: أنـا سـأقرأ وأنـت سـتتابع معـي، وظـل هكـذا حتـى انتهـت النوبـة الثانيـة، وتوجـه الشـاب يبحـث عـن الشـيخ أبـي معـاذ ليعاتبـه وهـو يظـن الشـيخ نائمـا، فلـم يسـر إلا قليـلا حتـى شـاهد الشـيخ أبـا معـاذ مرابطـا في الفتحـة الجداريـة في النقطـة الثانيـة، يقـول الشـاب: فأثـر ذلـك في قلبـي جـدا، حتـى أنـي لـم أسـتطع أن أتكلـم مـع الشـيخ، بـل اكتفيـت بالسـلام عليـه ومضيـت في طريقـي، وصـار هـذا درسـا لـي حتـى أكـف عـن الاعتـراض في المـرات المقبلـة، فنعـم المربـي هـو، وقـد اسـتمر الشـيخ مرابطـا بشـكل متواصـل دون اسـتراحة إلـى طلـوع الفجـر. وفي أحـد الأيـام طلـب الشـيخ أبـو معـاذ اسـتنفارا في قاعـة المكتـب الدعـوي في مدرسـة الثـورة، فتكلـم مـع الإخـوة قليـلا، ثـم شـغل بأمـر آخـر، فقـال للإخـوة: لا يغـادرن أحـد منكـم المـكان حتـى أعـود، وتأخـر الشـيخ كثيـرا وأخـذ النعـاس يتسـلل إلـى جفـون الشـباب، ومـع أن مـكان المبيـت لا يبعـد سـوى خمسـين متـرا إلا أن الشـباب لـم يذهبـوا لينامـوا فيـه، بـل أرسـلوا بعضهـم فأحضـر بعـض الأغطيـة ونامـوا في القاعـة، وعـاد الشـيخ بعـد منتصـف الليـل فـرأى الإخـوة نيامـا بشـكل مبعثـر في القاعـة، فسُـر منهـم كثيـرا.

ولعلـو همـة الشـيخ وشـدة اهتمامـه بمتابعـة أمـور الجهـاد كان كثيـرا مـا ينام في سـيارته مـع أنـه لديـه زوجتيـن، وفي إحـدى المـرات دخـل الشـيخ على الدعـاة في المكتـب وكانـوا يتناولـون الفطـور، وكان فـولا، فلمـا رأوه قالـوا لـه: مـن المؤكـد أنـك أفطـرت إمـا عنـد زوجتـك الأولـى أو الثانيـة، فضحـك، وقـال: هـذه مصيبتـي التـي أعانـي منهـا، فعندمـا أنـام في السـيارة تظـن زوجتـي الأولـى أنـي نمـت عنـد الثانيـة، وتظـن الثانيـة أنـي نمـت عنـد الأولـى، وهـا أنتـم قـد فعلتـم الشـيء نفسـه، فأنـا لـم أفطـر لا عنـد الأولـى ولا عنـد الثانيـة وقـد جئـت لأفطـر معكـم.

وقـد أخبرنـي أبـو إبراهيـم طبيـة عـن يـوم شـهده منـه يـدل على علـو همتـه، فقـال:

شـهدته في يـوم جمعـة فخطـب الجمعـة، ثـم نزلنـا فتناولنـا الغـداء في المقـر، ولمـا انتهـى كان هنـاك قضيـة تنتظـره، فاسـتمع لأطرافهـا وأنهاهـا، ثـم نـزل بعـد المغـرب إلـى المقـر فـأكل، ثـم أعطـى درسـا للمجاهديـن، ثـم صلـى العشـاء وجلـس يتـدارس مـع بعـض طلبـة العلـم، ثـم جلـس قليـلا مـع الشـباب التقنييـن، ثـم قـال: مـن يصلـي قيـام الليـل؟ فاتفقـوا أن يصلـوا بعـد قليـل، فقـال سـأجهز محاضـرة ريثمـا تسـتعدون، وبقـي يذاكـر حتـى تجهـز الإخـوة، فصلـى بهـم قيـام الليـل، وبعـد الصـلاة أقبـل على القـرآن إلـى مـا قبـل الفجـر بسـاعة أو سـاعتين فاسـتراح إلـى أن أذن الفجـر فقـام وصلـى، وكان سيشـارك بعـض المجاهديـن الذيـن كانـوا يريـدون لعـب الكـرة.

وكان ينبـه الإخـوة الدعـاة إلـى وجـوب تفقـد شـؤون أسـرة الأخ المرابـط حتـى لا يحتاجـوا إلـى أحـد، ويقـول: لا بـد أن نكـون كالأسـرة الواحـدة.

ودخـل بالمكتـب الدعـوي عـددا مـن المعـارك في منطقـة النقارين والشـيخ نجـار وقريـة عزيـزة ومعركـة تحريـر عبيـدة والحجيـرة اللتيـن قبـل خناصـر، وقـد دخـل فيهـا مـع المقتحميـن وفتـح الله على المجاهديـن فحـررت القريتـان وبعـد بضعـة أيـام تمكنـوا مـن قطـع طريـق النظـام وحـرروا خناصـر، ولمـا عـاد مـن الحاجـب إلـى حلـب كان يرتـل القـرآن طـوال الطريـق، كمـا كان يـود أن ينتخـب مـن المكتـب بعـض الإخـوة لإعطائهـم دورة مكثفة على مختلـف أنـواع الأسـلحة ليجعـل منهـم فرقـة مهـام خاصـة ولكـن الأجـل عاجلـه.
وكان للشـيخ أبـي معـاذ اهتمـام كبيـر بالأمـن، فـدرس موسـوعة الشـيخ العـدم الأمنيـة وفـرح بذلـك جـدا، وكان يقـول: كنـت جاهـلا جهـلا عظيمـا قبـل دراسـتها، وقـد نفعنـي الله بهـا جـدا.

ومـع بدايـة ظهـور فتنـة الدواعـش، قـال لـه الشـيخ أبـو خالـد السـوري: لا تتنقـل لوحـدك بعـد الآن، بـل اصطحـب معـك فلانـا، فقـال: يـا شـيخنا، نحـن على حـق وطـلاب شـهادة، ولا شـك أن الحـذر مطلـوب، ولكنـي لسـت بحاجـة إلـى مرافـق، فأنـا أناظـر القـوم بالكتـاب والسـنة وليـس هنـاك داع، فأصـر الشـيخ أبـو خالـد، فقبـل أبـو معـاذ طاعـة للأميـر، فقـد كان يتميـز بالسـمع والطاعـة، ولمـا وقـع الشـيخ أبـو خالـد اتفاقـا مـع عمـر الشيشـاني يتضمـن أن يمـر برتلـه أمـام مطـار الجـراح ولا يقاتـل الأحـرار، قـال الشـيخ أبـو معـاذ: أنـا متعجـب مـن هـذا الاتفـاق، ولكنـي أثـق بأمرائـي وعلـي السـمع والطاعـة.

كان الشيخ أبو معاذ يحب المسلمين في الشام، ويحاول إزالة الفوارق المصطنعة بين الشعوب الإسلامية، ويحبذ للمهاجرين الانصهار في المجتمع، ولذلك حرص على تعلم اللهجة السورية وأجاد ذلك إلى حد بعيد، وقد جرى له أثناء ذلك موقف طريف، وهو أنه جلب معلمين من مصر ليقيموا دورة في كيفية تدريس الجزء الرشيدي، وانتخب لحضور الدورة عددا من الإخوة العاملين في معاهد محو الأمية وتحفيظ القرآن، ومن بينهم الأخ أبو دجانة، وكانت الدورة في مدينة منبج، واتفق معه أن يمر عليه ويصحبه في الصباح الباكر من مسجد قباء، ولما وصل الشيخ أبو معاذ وقف على الباب، وقال: هيا يا أبا دجانة، فقال: أنا مستعد، ثم اتجه إلى الباب، فقال له الشيخ: أين حقيبتك؟ وأين الثياب البديلة؟ وأين الفوطة؟ فقال أبو دجانة: أستغفر الله العظيم، لماذا تقول لي هذا؟ (الفوطة بلهجة المصريين المنشفة، وأما بلهجة الحلبيين فمعناها المناديل التي تضعها النساء وقت الحيض)، فقال: ما المشكلة، أين الفوطة؟ ثم شعر أن لهذه الكلمة عند الحلبيين معنى قبيحا، فأقبل على أبي دجانة واحتضنه وقبله، وقال: سامحني الفوطة عندنا ما تمسح به وجهك، فقال أبو دجانة: وهي عندنا لها معنى قبيح، ثم ضحكا، وقال الشيخ: الحمد لله أني أخطأت معك وليس مع غيرك.

وقد تحسنت لهجته الشامية بعد ذلك، حتى أنه كان مرة ذاهبا إلى قلعة سمعان ومعه بعض الإخوة، فلما أوقفهم الحاجز وصار يتبادل مع الشيخ الحديث لم يشعر أنه مصري، بل ظن أنه سوري، فسأله: من أي محافظة أنت؟
وكان الشيخ يكره الكبر ويحب التواضع جدا، وفي أحد الأيام أحضر له بعض الشباب حذاءه، فغضب جدا، وقال له: إياك أن تعود لمثلها، كما كان طيب القلب جدا يعطف على اليتم والمسكين، شديد البر بوالديه.

شجاعته:

كان الشيخ أبو معاذ ليثا هصورا في المعارك لا يبالي بالعدو ولا تخيفه حشوده وأسلحته، بل يقبل على القتال إقبال الظامئ على الماء، يتقدم الصفوف ويقود الجنود ويحثهم على الصبر والثبات ويرغبهم في التضحية والفداء، ويحدثهم عن فضائل الجهاد والشهادة، وقد اشترك في عدد كبير من المعارك؛ سواء في الغوطة عندما ذهب إليها وقد جاع فيها نتيجة الحصار حتى أكل الحشيش وبعض الخضار

المتعفنة أو في حلب، فقد شارك في معارك النقارين والشيخ نجار ومحاولة تحرير قرية عزيزة ومعركة صد الجيش عن منطقة الشيخ لطفي وكان قائدها وفيها استشهد.

موقفه من الخوارج:

شهد الشيخ أبو معاذ بداية إعلان الدواعش دولتهم المزعومة فكان يكرههم ويتعجب من سفاهة عقولهم، ومع ذلك أخذ يسعى في محاولة الصلح، ولكن الدواعش كانوا يزدادون بغيا وفسادا وطغيانا كل يوم، ومن ذلك قيامهم بقتل الطبيب أبي ريان مدير معبر تل أبيض في حركة أحرار الشام بطريقة وحشية ثم تمثيلهم بجثته بشكل لا يمت إلى الإنسانية بصلة، فخطب الشيخ أبو معاذ في مسجد فاطمة وصرح بأن صفات الخوارج قد انطبقت عليهم، وبيَّن إعراضهم عن جميع دعوات التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم لم تمض إلا أيام واندلعت المواجهة الشاملة بين الدواعش والجيش الحر بعد أن صبر الجيش الحر على ظلمهم وبغيهم كثيرا، ولم تكن أحرار الشام وجبهة النصرة في ذلك الوقت تشارك في قتال الدواعش في مدينة حلب بشكل ظاهر (وقد علمت مؤخرا أن الشيخ أبا عمير أمير الأحرار بحلب كان يرسل مجموعات تقاتل سرا باسم غير اسم الأحرار أما الجبهة فلا أعلم إن قاتلت سرا أم لا) ، ولخبث الدواعش ورقة دينهم قاموا بالانسحاب من جبهات النظام في مدينة حلب، وتفرغوا لقتال الجيش الحر، فقام الشيخ أبو معاذ بتفريغ المكتب الدعوي من جميع مهامه وحوله إلى كتيبة مرابطة في النقاط التي انسحب منها الدواعش في منطقة الشيخ سعيد، واستمر المكتب مرابطا هناك حتى طرد الدواعش بشكل كامل من مدينة حلب.

عبادته:

كان الشيخ أبو معاذ يواظب على صيام الاثنين والخميس بشكل دائم وقد كتب إلي الشيخ أبو اليقظان يحدثني عن ذلك: قبل استشهاده بأسبوع زارنا الشيخ أبو معاذ المصري في معسكر الغرباء في قلعة سمعان عصر يوم الاثنين - وكان نظام المعسكر التشجيع على صيام الاثنين والخميس فإن زارنا أحد قدمنا له ضيافته - فقدم له الشباب شاياً فقلت لهم: لا داعي، أكيد الشيخ صائم فقال: لقد مررت

اليـوم على حماتـي في كفرناهـا وأفطـرت عندهـا بـرا بهـا لمـا ألحـت علـي ومـا أفطـرت يومـي الاثنيـن والخميـس منـذ أن عقلـت. وبعدهـا بأسـبوع دخـل المعركـة صائمـا فأعطـوا المقاتليـن شـطائر فأخـذ شـطيرة وتظاهـر بأنـه مفطـر ولـم يأكلهـا وبعـد نقـل جثتـه مـن أرض المعركـة إلـى مقرنـا في السـكري وجـدوا الشـطيرة في جيبـه لـم يـأكل منـه شـيئا وقـد قتـل صائمـا رحمـه الله.

كمـا كان كريمـا جـدا، حتـى قـال لـي الأخ أبـو دجانـة: كنـت أشـعر أن مـا يملكـه الشـيخ هـو للجهـاد ولمـن يسـير في درب الجهـاد، وكنـت أحيانـا أخبـره ببعـض حاجيـات المعهـد القرآنـي في مسـجد قبـاء في حـي بسـتان القصـر في حلـب كالزجـاج المحطـم نتيجـة القصـف، فـكان يبـادر إلـى تلبيتـي، إمـا مـن مالـه الخـاص أو مـن الدعـم الـذي يأتيـه لذلـك، وكان كثيـرا مـا يأمـر الإداري في المكتـب بدفـع بعـض المـال للمعلميـن في المعهـد.

وكان لـه اهتمـام عظيـم بالتربيـة؛ سـواء للمجاهديـن أو للإخـوة الدعـاة العامليـن معـه، فقـد كان حريصـا على تثبيـت المعانـي الإيمانيـة في قلوبهـم وتنميتهـا وإشـعارهم بعظـم الأمانـة والمسـؤولية الملقـاة على عواتقهـم، وكان الجانـب الأهـم في تربيتـه هـو التربيـة بالحـال قبـل المقـال، يقـول الأخ أبـو حفـص قبـاء: كنـت معـه في المكتـب الدعوي في السـكري، وكنـت أراقبـه مراقبـة الطالـب لأسـتاذه، ومـا زالـت صورتـه ماثلـة أمـام عيني ولا زلـت أذكـره وأضـرب بـه المثـل في العبـادة والزهـد والأخـلاق، فقـد كان عابـدا زاهـدا، وكثيـرا مـا كنـت أرابـط معـه فـأراه يقـرأ كتـاب ربـه ويتدبـره ويتلـذذ بمناجـاة الرحمـن، وكان منصفـا يسـارع إلـى نصـرة المظلـوم ويعيـن المحتـاج ويسـاعد الضعيـف ويقبـل على الخيـر إقبـال مـن يريـد أن لا يفوتـه منـه شـيء، ولـه فطـرة سـليمة ونظـرة ثاقبـة وحـرص على نفـع الإخـوة ونصحهـم، فقـد كنـا ذات مـرة في اقتحـام في ريـف حلـب الشـمالي وكان ذلـك ليـلا، وكانـت الدبابـة ترمينـا بحممهـا، وإذ بأبـي معـاذ يسـألنا في هـذا الوقـت: هـل صليتـم الوتـر يـا شـباب؟ ثـم يتابـع أبـو حفـص قائـلا: مـا أعلمـه إلا عالمـا عامـلا مـا أحـوج الأمـة إلـى أمثالـه، أسـأل الله أن يتغمـده بواسـع رحمتـه، وأن يحشـره مـع النبييـن والصديقيـن والشـهداء والصالحيـن، وحسـن أولئـك رفيقـا.

وتقـول زوجتـه السـورية أم عابـد عنـه: أبـو معـاذ المصـري رجـل لا ككل الرجـال، رجـل يجمـع بيـن الجديـة والمـرح، ويعطـي كل مقـام حقـه، صاحـب ديـن وخلـق ورجولـة، كان يقضـي يومـه ويتعـب نفسـه في خدمـة الديـن وأهلـه، ثـم إذا دخـل بيتـه أظهـر شـخصية الـودود

المرح، فإذا نودي للصلاة قام كأنه لا يعرفنا، كان صالحا قائما حافظا لكتاب الله، وكان كلما صلى أتته رعشة ينتفض منها جسده، ولما سألته عن السبب أجابني: كنت أول شبابي أصلي وحدي -على ما أذكر قيام الليل- وكنت أستحضر عظمة الله وهيبته، ومن حينها أصاب بهذه الرعشة كل صلاة، وكان يقول عن نفسه: بفضل الله أقرأ القرآن كاملا عن ظهر قلب وأخطائي لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، وما ركب خلف مقود السيارة إلا بدأ يرتل القرآن بصوت عذب.

وأخبرني أنه قرأ المصحف يوم أتم حفظه على شيخ ثلاثين مرة في رمضان، يعني كل يوم ختمة، وقد دخل في مسابقة دولية في حفظ القرآن وفاز فيها، وكانت جائزته حجة إلى بيت الله الحرام فرزق الحج وهو في ريعان شبابه، وكان محبا للجهاد والبندقية متواضعا محبا للخير يبادر إلى إعانة المحتاجين بأي طريقة كانت، كان رجلا مرحا غيورا ودودا محبا لطيفا أسدا بوجه المعتدي مؤدبا ما سمعته تلفظ بآفة من آفات اللسان، أشبه الناس بالشيخ مجد سعيد (سنترجم له لاحقا إن شاء الله) خلقا وخلقا، وأضافت: أكثر من مرة سقط من شدة التعب وهو ينزل من سيارته، وما كان يقبل أن يرتاح، وكان يقول: أنا لا أتمنى أن أستشهد باكرا حتى أستطيع أن أخدم ديني أكثر. انتهى كلامها.

وفي ذات مرة كنت عائدا مع الشيخ من جبهة النقارين، وبينما نتحدث عن الشهادة والجهاد، قال لي: هناك من لا يحب أن يستشهد الآن، بل يرجو أن يؤخر في أجله لينصر الدين أكثر، ولا مشكلة لديه أن يصاب بالجراح بعد الجراح، وظننت الشيخ وقتها يتحدث عن صنف من الناس، ثم تبين لي بعد ذلك أنه يتحدث عن نفسه، ولكن لم يبين ذلك لشدة إخلاصه.

وذات يوم كنت أتحدث مع الشيخ أبي معاذ عن الخطابة، فأخبرني أنه منذ وقت طويل لا يحضر خطبته إلا من ورده القرآني، فقد كان يختم كل أسبوع، وأثناء قراءته يجمع الآيات التي تتعلق بموضوع خطبته ثم يعد الخطبة.

ولا أنسى ذلك اليوم الذي خرج فيه الشيخ أبو معاذ مع معظم أفراد المكتب الدعوي لشن هجوم ليلي على النصيرية مع كتيبة أشداء، ولما وصلنا إلى المكان المطلوب طلب منا أبو أحمد الحلبي أمير أشداء وقتها أن ننتظر حتى يتقدم الإخوة من

الجهة الثانية، فجلسنا ننتظر وقد سترنا الليل بظلامه عن أعين النصيرية -وكان أحد الإخوة في المكتب الدعوي وهو أسامة الأحمد قد طلب من الشيخ قبل ذلك أن يقرأ عليه ختمة من القرآن ليحصل على الإجازة- فقال أسامة للشيخ: هل أقرأ الآن، فقال الشيخ: نعم، فابتدأ الأخ يقرأ، فقرأ الفاتحة وشيئا من الجزء الأول، ونحن في ساحة المعركة ننتظر الإشارة لبدء الهجوم على العدو.

وكان ينبه المجاهدين بشكل دائم إلى أهمية صلاة الجماعة، ويكثر من إلقاء دروس عليهم، وكانوا يحبون دروسه جدا وينصتون له إنصاتا تاما، وكثيرا ما كان يبكي من خشية الله وتذرف دموعه، وكان شديد الصبر فقد أخبرني الأخ أبو إبراهيم طبية، فقال: ذات مرة كان الشيخ مريضا جدا، فقلنا له: سنأخذك إلى المستشفى، فقال: بل أصبر إن شاء الله أصبر، ثم جاء أحد الأطباء وزاره وفحصه ثم كتب له الدواء، ثم قال له أحد الإخوة: إن الشيخ أبا عبد الله الحموي قد أرسل لك أمرا مهما، فقام الشيخ أبو معاذ على شدة ألمه وقال: ناولني كي أقرأ، فقال: استرح قليلا، فقال: لا، يجب أن لا نقدم شيئا على أمور المسلمين.

أدبه:

كان الشيخ أبو معاذ جم الأدب رفيعه مهذب الأخلاق عذب اللسان شديد الاحترام للآخرين، يحب أن يشاور، وكثيرا ما يتنازل عن رأيه إذا وجد غيره أقرب إلى الصواب، طلب منه بعض أعضاء المكتب يوما أمرا، فأجابه إليه وأردف قائلا: أنا أطوع لك من بنانك، ومن أدبه أنني كنت وإياه يوميا متجهين إلى جبهة النقارين فأخطأ الطريق، وحتى لا يطول الأمر عليه سار بالشارع عكس السير، فوجد أسرة واقفة بشكل يمنعه من المرور تريد أن تقطع الشارع وهي تنظر إلى الطرف الذي تأتي منه السيارات دون أن تنتبه إليه أصلا، وبما أنه مخالف فقد ظل ينتظر حتى تمكنت الأسرة من عبور الشارع ولم يضغط على مزمار السيارة ليفسحوا له.

تقول زوجته السورية: كان شديد البر بوالدته، فقد مرضت والدته مرضا أقعدها الفراش، فكان يقوم على خدمتها بنفسه، شديد الأدب مع الكبار عموما، وفي أحد الأيام زارتني والدتي فقام فجرا وأعد لها بيديه كوبا من الحليب وهي في سريرها، فقالت له: تعال يا بني اجلس هنا قربي على السرير، فقال: ما تعلمنا أبدا أن

نجلس بنفس مستوى آبائنا، وجلس على الأرض قرب قدميها.

كما كان حنونا وعطوفا جدا على أبناء زوجته السورية من زوجها الأول الشيخ مجد، حتى قالت زوجته السورية: كان حنونا على نسيبة وجود (اسم ابنتي الشيخ مجد) لدرجة أن الذي يراه وهو يعاملهم لا يخطر بباله قط أنه ليس أبا لهم، قال مرة وقد اجتمع أولاده حوله ومعهم جود ونسيبة: ما استطعت ولا حتى بقلبي التفريق بينهم، كأنهم كلهم مني وأنا منهم.

وتتابع قائلة: كان عمر نسيبة خمس سنين، فكان يحملها في الطريق بين ذراعيه ولا تنام قبل أن يحكي لها قصة وينشد لها حتى تنام.

شهادة الشيخ محمد عبد السلام:

وقد طلبت من الشيخ المصري محمد عبد السلام شهادته في الشيخ أبي معاذ المصري، فكتب إلي قائلا: في الأثر أن الله يصطفي خيرة من عباده فيقبضهم عنده شهداء، أراه ينطبق على أخي الحبيب أبي معاذ تقبله الله عنده من الشهداء، الذي أحسبه ولا أزكيه على الله كان يمثل أمة، كان حاملا الهم مؤديا الرسالة قائدا وجنديا بين إخوانه، كان حاسما للجدل حول من يوجه ويقود؛ لشخصيته القيادية المتميزة المتواضعة اللينة الحازمة، وبالرغم من ذلك كان أسبق الجميع في البذل والعطاء والجود والكرم، عايشت ذلك بتواجدي بينهم مرات متعددة، ورأيت كيف كان يتقدم الجميع حبا وتقديرا، وقد دخلت بيته ولمست حرصه وكرمه وبذله رحمه الله وتقبله، وأختم بأنه كان حاجبا لكثير من صيحات الفتن والتي ظهر بعضها بعد قبضه، تقبله الله وأعلى ذكره ورفع درجته في عليين، آمين.

شهادة الشيخ أبي مسلم العندناني:

الشيخ همام توفيق أبو معاذ المصري: طلب العلم على عدد من مشايخ مصر وحفظ القرآن الكريم وأجيز فيه على أكثر من رواية، صاحب صوت عذب، خاشع، خطيب مفوه، مهتم بعلوم القرآن كالتدبر والتفسير والتجويد، صاحب خبرة كبيرة في كثير من المجالات كالإدارة والعلوم السياسية والقضاء والتحقيق والعسكرة وغيرها، مجاهد

في سبيل الله، شجاع، مقدام في المعارك، حيث استشهد وهو قائد لمجموعة عسكرية في صد العدو النصيري على جبهة عزيزة بريف حلب الجنوبي، شغل عدة مناصب في الثورة السورية كالقضاء وإمارة المكتب الدعوي لأحرار الشام في حلب، صاحب همة عالية قل مثيلها، فقد كان كثيرا لا ينام في اليوم سوى ثلاث أو أربع ساعات، يقضي وقته كله في البحث والاطلاع والعمل الجهادي وتفقد أحوال الرعية المسؤول عنها، قل أن ترى مجالا جهاديا أو نافعا للأمة إلا وتجد له سهما في المشاركة فيه، كالتعليم والدعوة والرباط والعمل الحثيث على توحيد الفصائل وغير ذلك، كان رحمه الله شعلة من النشاط والحيوية ما رآه أحد إلا أحبه، متواضع وصاحب خلق حسن يتميز بأسلوب الطرافة، نفر كثير من الشباب إلى الجهاد بعد سماعهم لدرس من دروسه أو خطبة من خطبه التحريضية أو حتى سماعهم لتلاوته العذبة وهو يؤم الناس في مسجد فاطمة عقيل في حي السكري بحلب.

كان الشيخ رحمه الله شابا لم يتجاوز الثالثة والثلاثين من عمره، لكنه كان رجلا بألف رجل، صاحب فطنة وذكاء، ذو ابتسامة يستبشر بها كل من رآه، ومن مميزاته الدالة على فطنته وذكائه وعبقريته أنه تعلم اللهجة السورية بفترة قصيرة وأجادها حتى صار المتكلم معه يظن أنه سوري، صاحب تضحية في سبيل الله فقد كانت له زوجتان سورية ومصرية، وله أولاد من كل منهما، ومع ذلك كان لا يتخلف عن العمل الجهادي ولا عن أي معركة، وربما يكون مريضا فلا يمنعه ذلك، وقد علمنا في إحدى المرات أن ابنه مريض من شدة البرد فهو لا يملك مدفأة في بيته، ومع ذلك تراه لا يتخلف عن أعماله أبدا ولا تفارق الابتسامة محياه.

كان الشيخ مقبولا ومحترما عند كل الفصائل، وعند استشهاده ضج المقر بالبكاء، بل ضج الحي بالبكاء، فقد كان نعم الشيخ ونعم المجاهد، رحمه الله رحمة واسعة.

شهادة الشيخ أبي شعيب المصري:

هو الشيخ الفاضل المجاهد الأديب الأريب أبو معاذ همام عبد الفتاح توفيق رحمه الله تعالى، نشأ في أسرة ملتزمة فأبوه رحمه الله من أهل القرآن حيث فرغ حياته لتعليم كتاب الله تعالى، فأصابت البركة أولاده فكانوا كلهم من حفظة القرآن الكريم، ومنهم همام رحمه الله، تعلم همام في الأزهر الشريف إلى أن تخرج من جامعته.

نشأ محبا لطلب العلم ومحبا للجهاد في سبيل الله تعالى، متعلقا بفلسطين الحبيبة، وقد حدثني رحمه الله أنه في طفولته كان من شدة حبه للجهاد يحاول عمل بعض أنواع المتفجرات إعدادا في سبيل الله تعالى.

وكان رحمه الله ذا همة عالية ونشاط دائم وحركة لا تنقطع، يحمل بين جنبيه هموم الأمة وأعباء الدعوة وواجب نصرة المستضعفين، لا تراه إلا حالا مرتحلا يعمل جاهدا أن يكون له في كل خير نصيب..

وكان رحمه الله مع حشمته ووقاره سهل المعشر لين الجانب، يشارك في الإنشاد ويتلطف مع إخوانه ويضاحكهم إن ناسب المقام ذلك، ويفتح صدره ويفرغ وقته لسماع المستفتي والمستشير والمهموم.

كان رحمه الله ذا جسد نحيل لا يعبأ به فغايته أبعد من ذلك، وقد رأيته رحمه الله يقطع يومه سفرا ودعوة وتوجيها ثم يعود للمكتب الدعوي في حلب بمنطقة السكري وقد أنهكه التعب والجوع فيُخرج من مكتبه قطعة من الحلوى الطحينية ويأكل جزءا منها بلا خبز، ويبتسم وهو يعرض علي الأكل منها، ويقول: كل منها فطعمها جميل!، وأنا أتعجب منه كيف يقنع بها ولو أراد لأكل ما يشتهي، وكنت أتذكر سير الزهاد السابقين حينما كانوا يأكلون مثل ذلك لأن به سكريات تعطي طاقة مع خفة وزنه فلا يملأ البطن.

وهو ذو ذاكرة قوية يحفظ كثيرا من الكلام من أول مرة، وأذكر مرة أني دخلت عليه المكتب وهو مشغول ببعض أعمال على الكمبيوتر، فأخبرته ببعض الأعمال التي تم إنجازها، وسردت مسألة علمية فيها لطائف جديدة تكلم فيها أحد المشايخ ذلك اليوم، وكان رحمه الله يسمعني وهو يعمل، وأنا أظن أن تركيزه مع كلامي ضعيف، وبعد مدة كان يلقي محاضرة فوجدته يسرد المسألة العلمية تماما كما نقلتها له رحمه الله.

ومن رباطة جأشه أنه أخبرني عندما كان الدواعش بحلب وقبل وقوع القتال في حلب بينهم وبين بعض الفصائل أنه وصلته معلومات أمنية تفيد أن الدواعش يريدون اغتياله، ومع ذلك ظل يباشر أعماله ولم يتأثر برنامجه بذلك..

وقد كان وفيا للشيخ أبي عابد مجد سعيد رحمه الله، فقد كان للشيخ مجد فضل عليه في تيسير قدومه للجهاد ولحلب، واستشهد في حلب رحمه الله، فكان يكثر الثناء عليه وتزوج زوجته أم عابد، ومن همته وقوة نفسه رحمه الله أنه تزوجها في نهاية العشر الأوسط من رمضان فور قدومه الأخير من مصر، ثم اعتكف العشر الأخير من رمضان في المسجد.

وقد عاد من سوريا إلى مصر لزيارة أهله في نهاية حكم د. محمد مرسي، وكان في تلك الزيارة نشيطا لزيارة المشايخ والأنشطة الحركية المتنوعة بمصر، ووقع انقلاب السيسي أثناء زيارته فشارك في اعتصام ميدان رابعة، وكان من ضمن مجموعات حماية الميدان التي من مهمتها مواجهة البلطجية وقوى الأمن التي تحاول فض الاعتصام، ثم حان وقت عودته لسوريا في رمضان فودع مصر الوداع الأخير وسافر لسوريا.

وكان رحمه الله يحض الناس في مصر على النفير للجهاد في سوريا بل وظهر في الفضائيات المصرية داعيا للجهاد في سوريا، وقد منَّ الله تبارك وتعالى عليه فحضر عن طريقه عدد من المجاهدين والمشايخ لسوريا منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، كما كان يحث الأغنياء على التبرع للمجاهدين في سوريا، فكان حينها من أهم وسائل الصلة بين الساحة المصرية والجهاد في سوريا..

كان رحمه الله من أكثر من رأيتهم من الشرعيين قبولا عند عامة قادة الفصائل وعامة المجاهدين، ومن أكثرهم هيبة في المجالس، وعندما أخذني لحلب أول مرة تجولت معه في زيارات لعدد من الفصائل فلاحظت المحبة الكبيرة والتقدير الذي يتمتع به عند كل من زرناهم.
وكان قادة الأحرار الأول يحبونه بشدة، وأذكر مرة أنه كان في جبهات ريف حلب الجنوبي، وتأخر في طريق العودة، فتواصل الشيخ أبو عبد الله الحموي أمير حركة أحرار الشام رحمه الله يسأل عنه ويطمئن على صحته.

وكان رحمه الله خطيبا مفوها، فكان المجاهدون يتوافدون من أحياء حلب المختلفة على مسجد فاطمة عقيل لسماع خطبته الفريدة.
كان رحمه الله يعمل جاهدا على أن يساهم في لبنات الأساس في كل مشروع فإذا

اشتد عوده انتقل لوضع لبنات أساس في مشروع جديد وهكذا، فعمل في مكتب تطوير حركة أحرار الشام، وذهب للغوطة رغم مخاطر الطريق في الذهاب والإياب فوضع لبنات تأسيس أحرار الشام هناك، وشارك في البدايات الأولى للعمل القضائي في حلب، واعتنى بنشر معاهد تحفيظ القرآن الكريم في حلب وريفها، إلى غير ذلك من الأنشطة.

استشهد أبو معاذ رحمه الله في أول عام 2014م فمجموع المدة التي قضاها في سوريا قرابة سنة فقط، ولكن أثره كان كبيرا لا زال باقيا إلى اليوم، وقصة استشهاده: أنه كان رحمه الله شجاعا مقداما يشارك بنفسه في القتال، ويأخذ موقعه في أرض المعركة، وفي يوم استشهاده في الشهر الأول من عام 2014م وكانت تلك الأيام عصيبة في حلب، فالدواعش في منطقة الباب شرق حلب يتقدمون، والنصيرية في عزيزة يحاولون قسم حلب المحررة نصفين ومحاصرة الجزء الجنوبي منها، في ذلك اليوم طلبت القيادة النفير العام، فاتفقت أنا وهو -وكنت نائبه في المكتب الشرعي للأحرار بحلب- أن يأخذ هو قسما من الشباب الدعويين والإداريين لمنطقة الجندول للانطلاق لمواجهة الدواعش وآخذ أنا القسم الآخر لمنطقة المرجة لمواجهة النصيرية.

وبالفعل في صباح ذاك اليوم ذهب هو ومن معه للجندول، وذهبت أنا ومن معي للمرجة، وفي الظهر فوجئت به قادما للمرجة، فسألته: لم جئت، قال: تأجل العمل، ثم جاء الطعام وهو «أرغفة شاورما»، فلم يأكل نصيبه لأنه صائم ووضعه معه في الجعبة ليفطر به مساء، وبعد قليل طلبوا قسما من الشباب للمشاركة في المعركة، فاخترت قسما وأخبرته أننا ذاهبون وأن هناك قسما سيبقى معه، فقال لي: لا تذهب، سأذهب أنا معهم، فقلت له: لا، سأذهب أنا معهم، فقال لي: لا، أنا أميرك وأنا الذي سأذهب، فقلت له: لا، أنت أميري بالمكتب في منطقة السكري، أما هنا فقد جئت وأنا الأمير وأنت ضيف علينا، فأصر على أن يذهب هو، فقلت: فلنقترع، وأخرجت من جيبي عملة معدنية، وقلت له: ارمها، وأنا أختار النسر وأنت الكتابة، فأخذها ببطء ورماها فخرجت القرعة لي أنا، فقال: لا، هذه القرعة أعملها مع أم معاذ وأم عابد -يقصد زوجتيه- لا في الجهاد، وأصر على أن يذهب هو، وبالفعل قاد الشباب وانطلق للمعركة وبعد قليل استشهد صائما بطلقة رشاش أصابت رأسه، وكانت جنازته مشهودة رحمه الله.

شهادة الشيخ أبي اليقظان المصري:

«من أراد المعالي لا تفوته الخيرات وإن كانت في أعين الناس صغيرة» بهذه الكلمات ودع الشيخ عبد الفتاح توفيق ابنه البار همام قبل وفاته، ومن عايش الشيخ همام عبد الفتاح -تقبله الله في الشهداء- يرى أثر هذه النصيحة باديا في حركاته وسكناته.

التقيته في الإسكندرية ليلة هجرتي للشام وشرح لي الوضع بصورة عامة في سوريا ووضع الفصائل في حلب بصورة خاصة، وقد كان كثير الاختلاف بين مصر وسوريا إلى ما بعد الانقلاب منسقا للعمل الإغاثي والطبي، محرضا على الجهاد عبر شاشات التلفزيون، ومن خلال خطبه ومحاضراته في مصر.

لا أدري ما أترجم به لحياة الشيخ أبي معاذ همام عبد الفتاح في هذه الكليمات القصيرة؟

هل أتكلم عن قلة نومه التي أقضت مضاجع من رافقه حتى أنه كان يواصل اليومين دون نوم ولا راحة؟

أم أسرد غزواته في الشام التي زادت على السبعين واختتمها بقيادة معركة عزيزة التي قتل فيها؟

أم أتكلم عن جولاته من الرقة إلى منبج إلى جبل الزاوية إلى الغوطة؟

أم أتكلم عن دماثة خلقه وحب الناس له ومشاركته أفراحهم وأتراحهم؟

أم أتكلم عن ذاك القاضي الجهبذ والخطيب المفوه والإمام الخاشع والواعظ المبكي؟

لكنني أقتصر على موقف واحد: لما قتل الشيخ أبو معاذ رحمه الله فوضتنا قيادة الحركة أنا والشيخ طلحة المسير أبو شعيب والشيخ محمد أبو الوليد الحنفي لاختيار أمير شرعي للحركة في حلب وريفها خلفا للشيخ همام عبد الفتاح توفيق، وبعد التشاور قبل هذه المهمة الثقيلة الشيخ الحنفي لكنه اشترط أن تُقسَّم مهام الشيخ همام علينا، فوجئت أن الشيخ همام كان يعمل ثلاثة عشر عملا لا يستطيع أن يقوم بها فريق من الرجال

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

ثم كتب إلي مضيفا على ما سبق: استعرت معارك النقارين شمال مدينة حلب فاستنفرنا المكتب الدعوي كله للمعركة واستمرت المعركة أياما حتى كانت ليلة

الجمعة فقال الشيخ همام: لقد رتبت خطباء عوضا عنكم ولن ينزل أحد إلى صلاة الجمعة غدا، فكان القرار شديدا على نفسي لحبي المنبر وحرصي على خطبة الجمعة ولاحظ ذلك الشيخ همام رحمه الله فرابط معي معظم تلك الليلة في نقطة رصد لم يكن فيها أحد غيرنا وكان رحمه الله شيق الحديث خاصة في سرده القصصي فوقفنا نرصد وهو يتكلم بصوت منخفض وأنا منتبه له يقظ لكلامه متأثر أيما تأثر لحديثه عن رحلته في الغوطة الشرقية وكيف كانت عودته منها وعن رحلاته في المنطقة الشرقية وعن ضرورة الاهتمام بالعمل الدعوي في المنطقة الشرقية في الخفسة ومسكنة ومنبج والرقة وغيرها وتكلم عن العمل النسائي في سوريا ومشروعاته فيه وطلب مني المشاركة في قطاع العمل النسائي لرفع مستوى الأخوات فاعتذرت له ثم عاد بالذكريات عن مصر وقص علي أحداث مذبحة الساجدين عند الحرس الجمهوري في صلاة الفجر فقد كان معتصما معهم هناك وشهد مقتل ما يزيد على مائة ساجد في الركعة الثانية من صلاة الفجر رحم الله شهداء مصر وسوريا وجمعنا بهم في الجنة.

شهادة الشيخ أبي القاسم المصري:

لقد عرفت أبا معاذ المصري همام عبد الفتاح في أرض الجهاد المباركة مع أنه كان يدرس معي هو والشيخ أبو يحيى المصري رحمه الله الحديث في مجالس الحديث عند الشيخ حامد بن أكرم البخاري، ولكن كانت الصحبة في أرض الجهاد، وأذكر أول صحبة في معركة كانت في تحرير خناصر، وفي ليلة تحرير كتيبة الدفاع الجوي في قرية حجيرة التقيته وكان متعبا من المعركة ولا أنسى كلمات له حدث بها طلبة العلم والدعاة آنذاك في أرض المعركة حثهم فيها على الصبر وحسن الظن بالله، فأثرت كلماته في القلوب أيما تأثير، ثم تفرق الناس، كل نام في دثاره ليستريح من عناء المعركة منتظرين أن يصبحوا العدو، إلا الشيخ أبا معاذ كان قد انتصب قائما في الليل يناجي ربه فما هده التعب، فما إن صلينا ذهبنا سوية للاطمئنان على النقاط المتقدمة إذ تأخرت المعركة يوما وحدث خلاف بين الجنود من الذي سيرابط؟ فقد أنهك الجميع من شدة معركة تحرير قرية عبيدة وحجيرة، فتكلم الشيخ أبو معاذ بكلمات أزالت الخلاف وأعادت العزيمة والثبات للإخوة، وبعدها بيوم نشبت المعركة فرأيته في الصفوف الأولى يقاتل حتى كان رحمه الله من أوائل من اقتحم المركز الثقافي في خناصر والذي كان يتخذه النظام النصيري حصنا منيعا، واستمر القتال

داخل المركز من الصباح حتى آخر اليوم، وظهر في ذلك اليوم ثبات الشيخ وجلده رحمه الله، وفي موقف آخر كان الشيخ قافلا من معركة، فتعطلت سيارته فتركها وأكمل طريقه إلى المكتب الشرعي في حي السكري في مدينة حلب، وعرض علي أن أذهب معه لتفقد السيارة، فخرجنا في سيارة رجل لا تتسع مقاعدها إلا لرجلين السائق وآخر بجواره، فألححت على الشيخ أن يركب جانب الرجل فهو أحفظ مني لكتاب الله وهو أيضا أميري، فرفض وأصر أن يركب في صندوق السيارة الخلفي، فأردت أن نركب سوية في الأمام فأبى، وقال: لا أريد أن أضيق عليك وأصر على ذلك إصرارا عجيبا، وبالفعل ركب في الخلف وأخذ يقرأ القرآن الكريم ذهابا وإيابا، وقد عهدت الشيخ وله ورد من القرآن يختم فيه القرآن في سفره وحضره.

وقد منَّ الله علي بإصابة في إحدى المعارك وكان الشيخ محبا للعلم وأهله حريصا على التدريس وإقامة حلق العلم فكان من حرصه على ذلك أن أصر علي في إصابتي أن يأتي طلاب العلم إلى بيتي ويقرؤوا علي في صحيحي الإمامين البخاري ومسلم، وكان الشيخ رحمه الله دالا الناس على أبواب الخير حاضا لهم عليها، وكان كثير السؤال للإخوة عما أنجزوه في قراءة الصحيحين، وقبل لقاء الشيخ ربه بأيام معدودة جلس معي وحدثني أنه يريد أن يقيم لبعض كوادر حلب معسكرا فكريا وطلب مني أن أحاضر فيه.

ولما أطلت فتنة الدولة برأسها في أرض الشام كان أبصر الناس بها وكان غيره يقدم قدما ويؤخر أخرى، وكان رحمه الله شجاعا لا يخاف في الحق أحدا، وكان يعقد الجلسات الليلية ليبصر الناس بجماعة الدولة، ولم يكتف بذلك بل أتبع القول بالعمل وذهب لمعركة الباب في حين أحجم الكثيرون عن الذهاب، وكان الشيخ مع تحذيره ومناجزته للدولة إلا أنه كان منصفا يأبى الظلم، ففي بداية الحرب في حلب بين الدولة والجيش الحر جاءني الشيخ ولم أتعاف بعد من إصابتي ملحا عليَّ بالذهاب معه إلى لواء التوحيد حيث وقع عدد من عناصر الدولة أسرى في أيديهم، وخشي الشيخ أن يقتلوا فنقع في الظلم ويكون فيهم جاهل ومغرر به، فقد كانت الحرب في أولها ولم تنكشف الحقائق لعامة الناس بشكل جيد، ولم يلتفت الشيخ إلى أن الأمر لا علاقة له بفصيله فقد كان حريصا على العدل مبغضا للظلم ولو من غير فصيله، وحينما ذهبنا ورأينا الأسرى اشترط الشيخ على لواء التوحيد في قوة وعزم ألا يصابوا بأذى ولا يتعرضوا لظلم، وسعى الشيخ بعد ذلك في فكاكهم إذ

تبين للشيخ رحمه الله أنهم من عوان المسلمين ولم يتلبسوا بتكفير للمسلمين ولا إراقة لدمائهم.

وكان الشيخ رحمه الله محافظا على الصلوات في جماعة يؤم الناس بصوت ندي تخشع له القلوب لحسن قراءته.

وكان الشيخ رحمه الله في المكتب الشرعي يتابع الأعمال الشرعية طوال اليوم إلى منتصف الليل أو يزيد، وله في كل أبواب الخير نصيب فهو جواد كريم متصدق مستعفف يصوم النهار ويقوم الليل، وفي آخر رمضان من حياته اعتكف رحمه الله في العشر الأواخر في مسجد فاطمة عقيل في حي السكري.

وفي آخر يوم من أيام حياته قرأ الشيخ رحمه الله في الفجر بسورة القمر حتى ختمها بقوله تعالى: (إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر) وفي الساعة الثامنة والنصف صباحا التقى بي أبو الزبير المصري، وقال لي: الجيش تقدم على بعض أحياء حلب من ناحية المرجة ويوجد اليوم معركة، ثم أوصاني رحمه الله أن أعطي بارودته لفلان من الإخوة وماله لأخ آخر يجهز به نفسه للجهاد، ثم التقينا بأبي معاذ وكان يلبس جعبة شيشانية جديدة وكان على غير عادته يمازح الإخوة، وفي تلك الأثناء قص علينا أخ أن أبا الزبير رأى رؤية ورأى فيها النبي صلى الله عليه وسلم وأنه سيلقى الله عز وجل في هذا اليوم، فابتسم أبو معاذ وسكت أبو الزبير، ثم قال أبو معاذ: هلموا يا إخوتي لنأخذ اثنين من الأسرى النصيرية من السجن الأمني لنقتلهم أمام الإخوة لتتقوى قلوبهم على قتال العدو، فذهبنا وكعادة أبي معاذ أبى أن يركب إلا في الجزء الخلفي للسيارة، وعند وصولنا إلى السجن الأمني وبعد أخذنا للأسيرين لنقتلهم في أرض المعركة، قال لي: أريد أن أستشيرك يا شيخ أبا القاسم بأمر، إن هذين الأسيرين قد صدر حكم قضائي بقتلهما ولكني لم أستأذن أبا المعتصم مسؤول المكتب الأمني في أخذهما، ولكن أردت تقوية عزائم الإخوة على القتال؛ لأني قد رأيت في بعض الإخوة شيئا من الخوف والوهن، فما تقول في ذلك؟ فقلت له: الأفضل والخير أن تستأذن أبا المعتصم، فانشرح صدره لما قلت، وقال: هذا هو الرأي، ثم جاء وقت صلاة الظهر وأقيمت الصلاة فقدمني للصلاة إماما، فأبيت إلا أن يصلي، فصلى بعد إصرار مني عليه، وكان من عادته أن يجمع في مثل هذه الحالات، فلم يجمع، فسألته عن ذلك، فرد علي بابتسامة، ثم ركبنا السيارة، فقال

أبـو الزبيـر المصـري ممازحـا لـي: يـا صعيـدي، ادخـل معـي المعركـة لأنـي قـد رأيـت رؤيـا أن مـن سـيدخل معـي المعركـة سيستشـهد، فقـال أبـو معـاذ: سـأدخل معـك أنـا واتـرك الصعيـدي، وعندمـا وصلنـا لنقطـة التجمـع حـدث كلام بيـن الشـيخ أبـي شـعيب المصـري والشـيخ أبـي معـاذ المصـري حـول مـن سـيدخل المعركـة؟ فأبـى الشـيخ أبـو معـاذ إلا أن يدخـل هـو، وكان الـوداع الأخيـر بينـي وبيـن أبـي الزبيـر وبيـن أبـي معـاذ، ومـا هـي إلا فتـرة قصيـرة ويتحـدث رجـل عبـر القبضـة قائـلا: أبـو معـاذ المصـري حمامـة (وهـذه رمـز للشـهادة)، وأبـو الزبيـر المصـري حمامـة، ثـم جـاؤوا بالشـيخ أبـي معـاذ محمـولا، ولقـد رأيتـه رحمـه الله يتمتـم بشـفتيه نحـو أكثـر مـن ربـع سـاعة حتـى وصـل إلى المستشـفى، وظننـت أن الشـيخ بحـال حسـنة؛ إذ كان يتمتـم بقـراءة القـرآن، فرحمـك الله يـا حامـل القـرآن يـا أبـا معـاذ، عشـت مـع القـرآن ومـت معـه:

يا حامل القرآن قد خصك الرحمن — بالفضل والتيجان والروح والريحان
يا دائم الترتيل للذكر والتنزيل — بشراك يوم رحيل ستفوز بالغفران
يا قارئ الآيات في الجمع والخلوات — تزهو بك السموات وتنتشي الأكوان

ثـم رأيتـه بعـد ذلـك في الرؤيـا وكان فيهـا ثـواب عملـه، فأسـأل الله لـك الفـردوس الأعلى يـا أبـا معـاذ ويـا أبـا الزبيـر، وأن يجمعنـا الله مـع النبـي محمـد صلـى الله عليـه وصحبـه وسـلم.

شهادة الأخ أبي عمارة الدعوي:

لا أدري كيـف أبـدأ حديثـي عـن الشـيخ أبـي معـاذ رحمـه الله، فقـد كان لـه نصيـب في كل بـاب مـن أبـواب الخيـر والمعـروف، ولكـن لأبـدأ بجهـاده في الغوطـة، فقـد كان الشـيخ يطمـع أن يجاهـد هنـاك حتـى يسـر الله لـه ذلـك، فذهـب إليهـا وحوصـر هنـاك وعانـى مـن التعـب والسـغب الشـديدين، ثـم تمكـن مـن الانسـحاب بأعجوبـة فقـد خـرج مـع مجموعـة مـن إخوانـه مـن منطقـة يرصدهـا العـدو وهـذه المسـافة تزيـد على سـبعة كـم وقـد قطعوهـا زحفـا بشـكل كامـل، وفي أثنـاء ذلـك أصيـب أحدهـم وعجـز عـن متابعـة الزحـف ولـم يكـن لديهـم إلا أن يمكثـوا أو يحملـوه فتبطـئ حركتهـم جـدا ويبصرهـم العـدو عنـد طلـوع الصبـاح، أو يتركـوه فيقتلـه العـدو، وقـد اختـار الرجـال أن يحملـوه مهمـا كانـت النتيجـة، ولكـن الرجـل أصـر بشـدة أن يتركـوه ولا يحملـوه معهـم؛ لأنـه يعلـم أنهـم

سيهلكون جميعا بسببه، وبعد لأي تركوه وعنده بعض الذخائر ليقاتل بها ويمنع العدو من أسره وتابعوا طريقهم.

وكانت للشيخ أبي معاذ زوجتان في بيتين وأحد البيتين يبعد عن المقر خمسين مترا والآخر يبعد مائة وخمسين مترا، ومع ذلك فقد كان أثناء المعارك مع الدواعش كثيرا ما ينام في سيارته، حتى أن زوجتيه كانا يسألاني عن الشيخ عبر تردد خاص على القبضة، فأتصل به وأخبره أنهما يحتاجان كذا وكذا.

ولا أنسى أنه في يوم زواجه بأم عابد -ولم تكن زوجته المصرية قد جاءت بعد، كما أن زوجتي لم تكن موجودة- فقد ظل الشيخ يعمل طوال اليوم حتى أوشكت الشمس على الغروب وكان ذلك في رمضان، وقد جعنا جدا، فأردت أن أقول له: ما رأيك أن نذهب لنأكل، إلا أن الشيخ خرج من المقر، فتبعته وقلت له: إلى أين أنت ذاهب؟ فقال مبتسما: إلى الجنة، فضحكت وتبعته، فقال: اليوم عرسي! ففاجأني بذلك، فقد ظل يعمل طوال اليوم وهو صائم، ولم يشغل نفسه بما ينشغل به الشباب عادة قبل زواجهم.

ولما جاءت زوجته المصرية لم يتوفر لديه إلا بيت في جسر الحج فكان يهتم لذلك، حيث إن الذهاب إلى هناك سيأخذ منه وقتا لا يريد إنفاقه إلا في الجهاد وخدمته، ثم يسر الله له بيتا قرب مسجد فاطمة عقيل فسُر بذلك كثيرا.

كان الشيخ رحمه الله ذا همة عالية ونشاط عظيم، فكان الشيخ لا يكاد يهدأ، وهذا ما سبب تذمرا عند بعض الشباب لعدم قدرتهم على مجاراته، وكان الشيخ إذا حدث نقص في الرباط يبادر، فيقول: المكتب الدعوي مستعد لسد النقص، ثم يأمر الشباب بالتوجه للرباط في النقطة التي أفرغت، فعل ذلك مرارا في النقارين والشيخ سعيد. ومن صفات الشيخ أبي معاذ أنه كان هادئا جدا بطبعه، ولكنك تجده أسدا هصورا وبطلا حازما إذا اقتضى الأمر ذلك، وكان يستشير الشباب ويستمع لآرائهم، فإذا اتخذ القرار بعد ذلك لم يسمح لأحد بالاعتراض أو عدم الالتزام به.

والشيخ إذا صمم على شيء فعله بفضل الله، فعندما جاء إلى سوريا لم يكن قادرا على قيادة السيارة، فأصر على التعلم، وكنا إذا سافرنا طلب مني أن أعطيه المقود

وأجلس بجانبه ليتدرب على ذلك، وقد قلبت معه السيارة مرتين وسلمه الله، وفي إحدى المرات كنت بجانبه وهو يقود، فسمعته يدعو الله أن يتقبله في الشهداء، ومما قاله في الدعاء: اللهم لا تجعل مقتلي إلا في ملحمة، فاستجاب الله له ذلك فاستشهد في معركة عزيزة.

وكان الشيخ حريصا على جلب الأموال للجهاد، فكان كثيرا ما ينفق على الأمور الدعوية من الدعم الذي يجلبه وليس من مخصصات المكتب المالية من الحركة، ومن عجائب ذلك أن الشيخ كان كثيرا ما يقول لي كوني الإداري: أعط فلانا كذا من المال وأعط فلانا كذا فإن كان في الصندوق مالا أعطيت وإلا استدنت من بعض أقاربي ودفعت، وفي إحدى المرات كبر مبلغ الدين جدا فقلت للشيخ ذلك، فقال: لا مشكلة يدبر الله الأمور، وكأن الشيخ كان موعودا بشيء ولم يأته، ثم جاءني بعد أيام ومعه أموال، وقال لي: هلم لنتحاسب قبل أن تُنفق المال في أمور أخرى، فأخرجت الدفتر وأخذ الشيخ يسجل على ورقة ثم وفى كامل الدين وبقي مبلغ يسير أمرني بوضعه في الصندوق، ثم طوى الورقة ووضعها في جيبه، ولم تمر سوى بضعة أيام حتى استشهد الشيخ ولما ذهبت إلى المستشفى لاستلام أغراضه كان من ضمنها تلك الورقة وقد تلطخت بدمائه، فقلت في نفسي: سبحان الله أدى أماناته ثم استشهد وختم ورقة براءة ذمته بدمائه.

كان الشيخ يتمتع بقدرة هائلة على حل المشاكل بين الناس، وله أسلوب بديع ولسان عذب يجعل الناس يصغون إليه ويذعنون لرأيه، وكثيرا ما كان يتدخل في حل النزاعات بين الفصائل المقاتلة حتى لو لم تكن الأحرار طرفا في النزاع، وقد أرسل الشيخ أبا شعيب والشيخ أبا اليقظان مرارا إلى الفصائل لإنهاء بعض المشاكل بينهم، وكان الشيخ كثيرا ما يتأخر عن مواعيده بسبب أنه قد يكون في الطريق فيوقفه شخص ويبدأ بطرح مشكلته على الشيخ والشيخ يستمع له حتى يفرغ ثم يساعده في حلها، وكنت أقول له: يا شيخ عندنا مواعيد والتزامات، فكان يقول لي: نحن نسدي خدمات إلى الناس، ولكن إذا كان الموعد ضروريا فألح علي وقاطعني في الحديث مذكرا إياي بالموعد فقد أنسى ذلك وأنا أستمع للناس.

وقبيل معركة خناصر ذهب الشيخ إلى الحاجب؛ حيث غرفة العمليات التي تجهز لخوض المعركة وقد أمضى الشيخ نهاره يعمل، فلما حل الليل لم يرض الشيخ أن

ينام في غرفة العمليات، بل أصر على الذهاب ليقضي الليل في بعض نقاط الرباط، وفي أثناء رباطه لاحظ المرابطون وجود سيارات تتحرك، فأخبروا الشيخ، فاستنفر الجميع ثم نصب حاجزا، فلما مرت السيارة الأولى سألهم الشيخ: من أنتم وإلى أين ذاهبون؟ فقالوا: نريد التبديل، فمنعهم الشيخ من المرور، فقد شعر بفراسته أن الأمور ليست على ما يرام، وفي الصباح تبين أن بعض النقاط أرادت الانسحاب من النقاط بسبب تأخر التبديل فلما نصب الشيخ حاجزا ومنعهم من العبور أخبر بعضهم بعضا أن هناك حاجزا منصوبا يمنع الناس من الانسحاب فثبتوا في نقاطهم. والشيخ صاحب شجاعة عظيمة وإقدام شديد مع توكل على الله، فكان يدخل المعارك بنفسه ويتقدم الصفوف غير متهيب ولا خائف، ولا أدل على ذلك من رفضه لنتيجة القرعة التي اقترعها مع الشيخ أبي شعيب قبيل استشهاده وإصراره على الدخول في المعركة حتى استشهد رحمه الله وجمعنا به في الجنة.

وكان من أوائل من حذر من فساد منهج الدواعش الفاسد وحض على قتالهم وحث عليه في وقت كان فيه كثير من الناس يجبن عن ذلك أو لم تتضح له القضية بعد، وبعد الانقلاب على مرسي شارك في الاعتصامات في مصر وكان يحدثني عن الخيم التي نصبت للمعتصمين هناك ولكن مجزرة رابعة لم تحدث إلا بعد رجوعه إلى سوريا.

شهادة الشيخ أبو عبد الرحمن الحلبي:

للشيخ أبي معاذ همام عبد الفتاح خصال فضال مميزة أذكر منها:
أنه طالب علم متقدم (مرحلة ماجستير) محب للعلم يجل العلماء متواضع خطيب مفوه إذا رأيته من بعيد هبته وإذا جالسته أحببته، تعلوه دائما ابتسامة مملوءة بالأمل، صاحب هم وهمة تقارب السحاب تراه لا ينام إلا قليلا فتارة تجده في حلب وأخرى في ادلب وثالثة يختفي ليظهر بعد ذلك في الغوطة ثم خرج منها بصعوبة كبيرة حتى لأنه حدثني أنه زحف لمسافة قد تصل لعشر كيلو مترات ثم عاد إلى مصر ليكون في ميادينها مع أصحابه وإخوانه يتظاهرون سلميا وتارة يضطرون لحمل بعض الأسلحة ليحموا أنفسهم من بطش المجرمين.

وكان الشيخ إذا نودي بالاستنفار يستنفر مع إخوانه حتى أنه مرة كان في حلب مستنفر مع الدعاة فناموا في المقر في المكتب على الكراسي ونام هو في سيارته

التـي تبعـد عـن بيتـه مائتـي متـر مـع أن لديـه زوجتيـن.

كان الشـيخ يدخـل المعـارك بنفسـه ويتقـدم صفوفهـا بشـجاعة وجـرأة وهـو مـن أوائـل الشـرعيين الذيـن صدعـوا بالتحذيـر مـن الدواعـش وحرضـوا على قتالهـم .

وفي نهايـة المطـاف ترجـل الفـارس شـهيدا في جبهـة عزيـزة وهـو يتصـدى للنظـام المجـرم نحسـبه كذلـك ولا نزكـي على الله أحـدا رحمـه الله تعالـى.

استشهاده:

لمـا تسـلم الشـيخ أبـو معـاذ إمـارة المكتـب الدعـوي كان الجيـش يشـن هجمـة عاتيـة على منطقـة الشـيخ نجـار والنقارين بعـد اسـتيلائه على تـل شـغيب، وأثنـاء ذلـك بـدأت المواجهـة العامـة الشـاملة بيـن الجيـش الحـر وتنظيـم الدولـة الخارجـي في حلـب، وكان الشـيخ كثيـرا مـا يخـرج إلـى المعـارك مـع الدعـاة في المكتـب الدعـوي، وفي الفتـرة الأخيرة صـار تغيبـه عـن بيتيـه كثيـرا جـدا لكثـرة أشـغاله، ثـم قـام الجيـش النصيـري بالتقـدم مـن قريـة عزيـزة باتجـاه منطقـة البلـورة والشـيخ لطفـي؛ حيـث كانـت كتيبـة أشـداء ترابـط، وقـد استشـهد عـدد كبيـر منهـا وجـرح معظـم مـن بقـي، فاسـتنفرت أحـرار الشـام لصـد الجيـش مـن تلـك الناحيـة، وتجهـز الشـيخ أبـو معـاذ ليخـرج على رأس قـوة المـؤازرة بعد أن أمـر جميـع المجاهديـن في المقـر بالخـروج مـا عـدا الحـرس، وقبـل خروجـه مـر على أهلـه، وقـال: جئـت لأسـلم عليكـم وأودعكـم والإخـوة ينتظرونـنـي، فقالـت لـه زوجتـه أم عابـد: هـل ستشـارك في المعركـة، فقـال: سـأنقل للإخـوة الطعـام والشـراب والعتـاد، وأعـود إليكـم قبـل العصـر.

ثـم خـرج مـع بعـض إخوانـه في المكتـب إلـى المعركـة ومنهـم الشـيخ أبـو شـعيب المصـري، ولمـا وصـل الشـيخ إلـى أرض المعركـة على تخـوم عزيـزة وجـد أن الشـباب يرتبون كـي يدخلـوا لاسـتعادة النقـاط، فقـال الشـيخ: سـأدخل، فجـاء الشـيخ أبـو شـعيب المصـري وقـال لـه: ابـق أنـت هنـا وأنـا سـأدخل وأصـر على ذلـك، فقـال لـه: لقـد كبرنـا في السـن وأدينـا رسـالة كبيـرة وبقـاؤك أهـم وأنـا قـد دخلـت معـارك كثيـرة وصـرت صاحـب خبـرة، فأصـر كل واحـد منهمـا الدخـول، ثـم قـال أبـو شـعيب: نقتـرع ومـن كانـت القرعـة لـه دخـل، فوافـق أبـو معـاذ، فخرجـت القرعـة لصالـح الشـيخ أبـي شـعيب، فقـال أبـو معـاذ:

القرعة تكون حلا مع زوجاتي أما هنا فلا، ثم دخل إلى أرض المعركة ودخل معه أبو إبراهيم طبية وأبو الزبير المصري وأبو ريحانة التقني، وقد وضع في جعبته قنينة ماء وشطيرة فقد كان صائما، ثم نشر الشباب الذين معه في نقطة خلفية، وقال سأستطلع الوضع ثم أعود إليكم، فأصر أبو إبراهيم أن يدخل معه، وهنا قال أحد شباب أشداء: يمكنني أن أريكم تحركات الجيش من فتحة جدارية ولكن يجب أن تحذروا من القنص، فأراد أبو إبراهيم أن يتقدم، فقال له الشيخ أبو معاذ: ارجع فأنت صغير الحجم وأنا طويل فكن خلفي حتى إذا جاءت الطلقة لم تصبك فأنت الطبي هنا ووجودك مهم جدا، فقلت له: يا شيخ لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، فتقدم الشيخ إلى الفتحة الجدارية والشاب الذي من أشداء يشرح له، فجاءت طلقة في الفتحة الجدارية فأصابت الشيخ في رأسه وسقط على أبي إبراهيم، وقال: الحمد لله رب العالمين، ثم كرر الشهادة مرتين، واستشهد معه أبو الزبير المصري وحمل جسديهما إلى مقر أحرار الشام في مدرسة الثورة في السكري، ولما دخلت المدرسة لأودع الشيخ قبل دفنه شممت منه رائحة طيبة جدا، ثم دفن في مقبرة الشهداء وراء مسجد فاطمة عقيل.

الخاتمة :

وبعد؛ فهذه سيرة الشيخ الفاضل المجاهد أبي معاذ المصري، وقد اعتصرني الألم وأنا أدون كثيرا من مواقفه المليئة بالمعاني الإيمانية، فقد كان الشيخ ولا زال حبيبا إلى قلبي، وما من أحد عامله إلا وأحبه وتأثر به، فكم نفر شاب إلى الجهاد على يديه، وكم فقأ من عين للفتنة بإصلاحه بين الناس، وكم هدى الله على يديه من العصاة بعد سماعهم لدروسه وتقربه منهم وحرصه على هدايتهم، وكم حفظ من طفل أجزاء من القرآن بإنفاقه على معاهدهم، وكم أذاق الكفار من بأسه وقوته، فرحمه الله رحمة واسعة فقد فقدنا بفقده بطلا هماما وطالب علم مجدا وقائدا محنكا ومصلحا فذا، وهنا يحق لي أن أتمثل بقوله مرة وقد بلغه استشهاد بعض الأخيار: (أكلت الحرب خيارنا)، ولئن كنت قد فقدت صحبة الشيخ الحبيب في الدنيا فإني أسأل الله تبارك وتعالى أن يجمعني به في الجنة بصحبة سيد المرسلين وإمام المتقين محمد صلى الله عليه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

المقدمة 1
مولـده ونشـأته 3
نبـذة عـن والـده الشـيخ عبـد الفتـاح 3
طلبـه للعلـم 7
زواجـه 7
نفيـره إلـى الجهـاد 7
تسـلمه إمـارة المكتـب الدعـوي 9
شـجاعته 16
موقفـه مـن الخـوارج 17
عبادتـه 17
أدبه 20
شـهادة الشـيخ محمـد عبـد السـلام 21
شـهادة الشـيخ أبـي مسـلم العندانـي 21
شـهادة الشـيخ أبـي شـعيب المصـري 22
شـهادة الشـيخ أبـي اليقظـان المصـري 26
شـهادة الشـيخ أبـي القاسـم المصـري 27
شـهادة الأخ أبـي عمـارة الدعـوي 30
شـهادة الشـيخ أبـو عبـد الرحمـن الحلبـي 33
استشـهاده 34
الخاتمـة 35